سلسلة منشورات دار الإمام مسلم (٤)

شهادة أن لا إله إلا الله

إعداد

د. صالح بن عبد العزيز عثمان سندي

دار الإمام مسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

ح دار الإمام مسلم للنشر والتوزيع، ١٤٣٢هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
سندي، صالح عبدالعزيز
شهادة أن لا إله إلا الله./ صالح عبدالعزيز سندي - ط٢، المدينة المنورة، ١٤٣٢هـ.
١٢٠ ص، ١٧×٢٤ سم، سلسلة العقيدة الصحيحة (١)
ردمك: ٦-٩-٧٥٠٩-٠٠-٦٠٣-٩٧٨
١- الشهادة (أركان الإسلام) ٢- التوحيد
٣- العبودية (لله تعالى) أ. العنوان
ديوي ٢٤١ ١٤٣٢/٤٨٦٤

رقم الإيداع: ١٤٣٢/٤٨٦٤
ردمك: ٦-٩-٧٥٠٩-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الثانية
١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

دار الإمام مسلم للنشر والتوزيع
المملكة العربية السعودية - المدينة المنورة
جوال: 00966532627111
البريد الالكتروني: DAR.ALEMAM.MUSLEM@GMAIL.COM

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور، ثم الذين كفروا بربهم يعدلون، هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، هي أعظم شهادة، وعنوان السعادة، وما أرجو به الحسنى وزيادة.

وأشهد أن نبينا محمدا عبده ورسوله، أرسله ربه هاديا ومبشرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فإن شهادة الإخلاص « لا إله إلا الله » أصدق الكلام، وأعظم المعاني، وضرورة الثقلين إليها أعظم الضرورة؛ إذ حياة الروح بحياة هذه الكلمة فيها، كما أن حياة البدن بوجود الروح فيه. وكما أن من مات على هذه الكلمة فهو في الجنة يتقلب فيها؛ فمن عاش على تحقيقها والقيام بها فعيشه أطيب عيش[1].

---

(١) انظر: « الداء والدواء » (٣٠٢).

وفي هذه الأوراق بحث وجيز عنها، يقف دون غمرها، ولا يتجاوز ساحلها، إذ من الذي يروم أن يستجلي جميع معانيها، ويستقصي سائر مراميها، وهي المشتملة على الدين كله، أصله وفرعه، وأوله وآخره.

هذا وقد جعلت البحث في تمهيد وسبعة مباحث.

أما التمهيد: ففي تعريف « الشهادة »، و« الإله »، وأهمية العلم بلا إله إلا الله.

وكان هذا في ثلاثة مطالب.

أما المباحث فعلى الرسم الآتي:

المبحث الأول: فضل « لا إله إلا الله ».

المبحث الثاني: إعراب « لا إله إلا الله »، وما يترتب على الخطأ في إعرابها.

المبحث الثالث: معنى « لا إله إلا الله »، وأدلة ذلك.

المبحث الرابع: شروط « لا إله إلا الله ».

المبحث الخامس: أهم ما تثبته وتنفيه « لا إله إلا الله ».

المبحث السادس: ما ينقض « شهادة أن لا إله إلا الله ».

المبحث السابع: خطأ المخالفين في تفسير « شهادة أن لا إله إلا الله » ومناقشته.

وقد سرت في كتابة البحث وفق المنهج العلمي المتبع، مع مراعاة الإيجاز إلا في المواضع التي رأيت الحاجة داعية إلى التوسع فيها.

أسأل الله أن ينفع به، وأن يجعله مسددا مباركا، وأن يتقبله مني بقبول حسن.

وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد، وآله وصحبه أجمعين.

د. صالح بن عبد العزيز بن عثمان سندي

الأستاذ المشارك بقسم العقيدة بالجامعة الإسلامية بالمدينة

التمهيد:

في تعريف « الشهادة » و« الإله »، وأهمية العلم بلا إله إلا الله

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: معنى « الشهادة »

قد جاء في كثير من النصوص تصدير كلمة التوحيد بلفظ الشهادة: «شهادة أن لا إله إلا الله »، كما أن المسلم ينطق بها في مواطن كثيرة بلفظ: «أشهد أن لا إله إلا الله »[1]؛ فناسب أن يُعقد هذا المطلب لبيان معنى «الشهادة ».

الشهادة في اللغة مصدر شهد يشهد.

قال ابن فارس: « الشين والهاء والدال أصلٌ يدل على حضور وعِلم وإعلام، لا يخرج شيء من فروعه عن الذي ذكرناه »[2].

---

(١) يجدر التنبيه على أن « أنْ » هنا هي المخففة من الثقيلة، وجملة « لا إله إلا الله » في محل رفع خبرها، واسمها ضمير الشأن محذوف، والتقدير: أشهد « أنه » لا إله إلا الله. ويخطئ بعض العامة حين ينطقها مثقلة. انظر التنبيه على ذلك في: « الشرح الممتع » (٣/ ١٥٦)، وانظر أيضا: « مجموع فتاوى » سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز (١/ ٢٢٨-٢٢٩).

وتنبيه آخر: وهو أن « أنْ » هنا يجب إظهار كتابتها، وأما في النطق فلا ينطق بها، وإنما تدغم في « لا » انظر: « ضياء السالك إلى أوضح المسالك » (٤/ ١٠).

(٢) « مقاييس اللغة » (٥٣٩).

وهذه المعاني الثلاثة مجتمعةٌ في كلمة الشهادة، فهي قولٌ يتضمن إخبارًا وإعلامًا عن شيء معلوم مشاهَدٍ بالحس - وهو ما عبر عنه بالحضور - أو متيقن في النفس.

قال الراغب الأصفهاني: « الشهادة: قولٌ صادر عن علم حصل بمشاهدة بصر أو بصيرة »[1].

وقال شيخ الإسلام: « الشهادة لا بد فيها من علم الشاهد وصدقه وبيانه، لا يحصل مقصود الشهادة إلا بهذه الأمور »[2].

وهذه الأمور الثلاثة هي أركان الشهادة؛ وتوضيحها فيما يأتي:

أولًا: الحضور: والأصل في الشهادة: أن تكون عن حضور ومشاهدة حسية، قال ابن فارس: « الشهادة: الإخبار بما قد شوهد»[3]، ثم استعملت فيما يتيقنه الإنسان في نفسه.

قال أبو العباس القرطبي: « وأصل الشهادة: الإخبار عما شاهد المخبر بحِسِّه، ثم قد يقال على ما يحققه الإنسان [ويتيقنه][4]، وإن لم يكن شاهدًا

(١) « المفردات » (٢٦٨).

(٢) « مجموع الفتاوى » (١٤/ ١٨٧).

(٣) « مجمل اللغة » (١/ ٥١٤).

(٤) في الأصل: « يتقنه ».

للحس؛ لأن المحقَّق علمًا كالمُدرك حسًّا ومشاهدةً »[1]

وقال ابن عطية: « أصل (شهد) في كلام العرب: حضر، ومنه قوله تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ﴾ [البقرة:١٨٥]؛ ثم صُرفت الكلمة حتى قيل فيما تقرر علمه في النفس بأي وجه تقرر من حضور أو غيره: شهد يشهد »[2].

وعليه فلا بد أن يكون الشاهد متيقنًا صادقًا، وإلا فلو أخبر بخلاف ما يعتقد، أو مع تردد وشك لم تكن شهادته صادقة؛ ولا تكون كذلك إلا عن مواطأة للقلب، وموافقة للاعتقاد[3]، ولهذا وُصفت الشهادة بالقطعية والتحقيق والجزم[4]؛ قال الفيروز آبادي: « الشهادة: خبر قاطع »[5].

وعليه فشهادة أن لا إله إلا الله تتضمن صدق الشاهد وتيقنه بمدلول كلمة التوحيد وهذا الركن الأول من أركانها.

ثانيًا: الإخبار: فلا يكون الشاهد شاهدًا حتى ينطق ويتلفظ ويقول مخبرًا عما في نفسه، ومُعلِمًا عما يكنه فؤاده. فهي إذن مُركبة من اعتقاد ولفظ[6].

---

(٥) « المفهم » (١/ ٨٧). وانظر: « تيسير الكريم الرحمن » (١٢٥).

(١) « المحرر الوجيز » (٢٨٣)، وانظر: « المفردات » (٢٦٧).

(٢) انظر: « كنز السعادة في شرح الشهادة » (٣٢).

(٣) انظر: « فتح المجيد » (١/ ٢٤٩).

(٤) « القاموس » (١/ ٣٠٦).

(٥) انظر: « تفسير الجلالين » (٦٧).

فقول الموحد: « لا إله إلا الله » يعني: « أخبر بأني قاطع بالوحدانية »[1]

قال ابن منده: « الشهادة فعلُه بالقلب واللسان، لا اختلاف بين المسلمين في ذلك »[2].

فمتى اعتقد العبد مضمون كلمة التوحيد فلا يكون شاهدًا حتى ينطق بها. قال محمد بن نصر المروزي: « والشاهد بلا إله إلا الله هو المصدق المقر بقلبه، يشهد بها لله بقلبه ولسانه، يبتدئ بشهادة قلبه والإقرار به، ثم يُثنّي بالشهادة بلسانه والإقرار به »[3].

وإذا امتنع من النطق بلسانه - مع القدرة - فلا ينفعه ما اعتقده بقلبه - خلافا لما عليه بعض أهل البدع -.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: « فأما الشهادتان إذا لم يتكلم بها مع القدرة فهو كافر باطنًا وظاهرًا عند سلف الأمة وأئمتها وجماهير علمائها »[4].

---

(٦) « فتح المجيد » (٢/ ٤٣٢).

(١) « الإيمان » (١/ ٣٣٢)، وانظر: « فتح المجيد » (٢/ ٤٣٢-٤٣٣).

(٢) « تعظيم قدر الصلاة » (٢/ ٧٠٧). وهو في « الإيمان » لابن منده (١/ ٣٥٠) بنصه دون الإشارة إلى أنه من قول المروزي.

(٣) « الإيمان الأوسط » (٥٥٢).

وهل لا يكون مسلمًا إلا بنطقه كلمة: (أشهد)، أم يكفي أن يقول: لا إله إلا الله؟

الجواب: أن ذلك ليس بلازم.

قال ابن القيم: « وأجمع المسلمون على أن الكافر إذا قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله فقد دخل الإسلام وشهد شهادة الحق، ولم يتوقف إسلامه على لفظ الشهادة »[1].

ثالثًا: العلم بحقيقة ما يشهد به؛ إذ لا يمكن أن يشهد الشاهد بما يجهله؛ فالجهل والشهادة متنافيان[2]؛ فقول المسلم: « أشهد أن لا إله إلا الله » يتضمن علمه بذلك[3].

قال الأنباري: « وقولهم: أشهد أن لا إله إلا الله: قال أبو بكر[4]: معناه عند أهل العربية: أعلم أنه لا إله إلا الله، وأبيِّن أنه لا إله إلا الله »[5].

---

(١) « مدارج السالكين » (٣/ ٤٧١)، ومثله في « الطرق الحكمية » (٢/ ٥٤٠).

(٢) انظر: « تيسير العزيز الحميد » (١/ ٢٠٥-٢٠٦). وحاشية « كتاب التوحيد » (٢٥).

(٣) انظر: « المصباح المنير » (٣٢٥).

(٤) هو الأنباري نفسه.

(٥) « الزاهر » (١/ ٣٢).

وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن: « لا ريب أن الشهادة لا تكون شهادة إلا إذا كانت عن علم ويقين وصدق، وأما مع الجهل والشك فلا تعتبر ولا تنفع؛ فيكون الشاهد والحالة هذه كاذبًا؛ لجهله بمعنى الذي يشهد به »[1].

وغير خافٍ أن حصول اليقين والاعتقاد يقتضي حصول العلم ضرورة؛ غير أن التنصيص عليه في كلام أهل العلم لمزيد التوضيح ومزيد العناية.

والخلاصة التي تتحصل من العرض السابق: أن الشهادة: **إخبارٌ عما تعلمه النفس وتتيقنه.**

وهو ما لخصه أبو العباس القرطبي في جملة مختصرة؛ حيث قال في معنى قول المسلم: (أشهد ...): « أي أنطق بها أعلمه وأتحققه »[2].

ومثله قول الشيخ ابن عثيمين في معنى (أشهد ...): « أنطق بلساني معبرًا عما يُكنه قلبي من اليقين، وهو أنه لا إله إلا الله »[3].

---

(١) « قرة عيون الموحدين » (١٠).

(٢) « المفهم » (١/ ٨٧).

(٣) « القول المفيد » (١/ ١٥٢).

بقي التنبيه على أن كلمة التوحيد قد وصفت بالشهادة، وأضيفت كلمة الشهادة إليها، فقيل: شهادة أن لا إله إلا الله - في نصوص كثيرة - إشارةً إلى أن « لا إله إلا الله » لا بد أن تكون شهادة يُشهد بها؛ فليست قولًا مجردًا، ولا اعتقادًا محضًا؛ وإنما هي - حتى ينتفع بها صاحبها - قولٌ صادق ناشئ عن علم واعتقاد، وهذا ما سيتبين - بعون الله - في أثناء البحث.

المطلب الثاني: معنى « الإله »

إن معرفة معنى كلمة « إله » ركنٌ أساسٌ في فهم معنى كلمة التوحيد، وبسبب الخطأ في فهم هذه الكلمة يحصل الخطأ في فهم كلمة التوحيد.

قال المعلمي: « الجهل بمعنى « الإله » يلزمه الجهل بمعنى كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) »[1].

والذي تدل عليه شواهد اللغة: أن « الإله » هو المعبود؛ لأن « الإله » من أله يأله أي عبد يعبد؛ وعليه فـ « إله » فِعال بمعنى مفعول.

وهذا إجماعٌ من أهل اللغة.

قال ابن جرير: « فإن قال: وما دل على أن الألوهية هي العبادة وأن الإله هو المعبود، وأن له أصلًا في « فعل ويفعل »؟ قيل: **لا تمانُع بين العرب في الحكم** لقول القائل يصف رجلًا بعبادةٍ وبطلب ما عند الله جل ذكره: « تأله فلان » بالصحة، **ولا خلاف** »[2].

---

(١) «رفع الاشتباه» (٣٢).

(٢) «تفسير الطبري» (١/ ١٢٣). وقد علق الأستاذ محمود شاكر على قوله: لا تمانع: «أي لا اختلاف بينهم يدعو بعضهم إلى دفع ما يقوله الآخر». وانظر أيضا: « تيسير العزيز الحميد » (١/ ٢١٢).

وعلى هذا توارد أئمة اللغة. قال ابن فارس: « أله إلاهة كعبد عبادة، والمتأله: المتعبد، وبذلك سمي الإله »[1].

وقال أيضًا: « الهمزة واللام والهاء أصلٌ واحد، وهو التعبد، فالإله: الله تعالى، وسمي بذلك لأنه معبود، ويقال: تأله الرجل إذا تعبد »[2].

وقال ابن سيده: « الإلاه: الله ﷻ، وكل ما اتخذ من دونه معبودًا إلاهٌ عند متخذه، والجمع آلهةٌ ... والإلاهة والألوهة والألوهية: العبادة »[3].

وفي القاموس: « أله إلاهة وألوهة وألوهية: عبد عبادة، ومنه لفظ الجلالة... وأصله (إله) كفعال؛ بمعنى مألوه[4]، وكل ما اتُّخذ معبودًا إلهٌ عند متخذه بيِّن الإلاهة والأُلهانية بالضم ».

ثم قال: « والتأله: التنسك والتعبد »[5].

---

(١) « مجمل اللغة » (١/ ١٠١).

(٢) « مقاييس اللغة » (٨٦).

(٣) « المحكم » (٤/ ٣٥٨).

(٤) قال الزبيدي: « أي معبود، كقولنا « إمام » فِعال بمعنى مفعول؛ لأنه مؤتم به ». « تاج العروس » (١٦/ ٣٢١).

(٥) « القاموس » (٤/ ٢٨٠).

ومن هذا قول رؤبة بن العجاج:

لله در الغانيات المُدَّهِ سبّحن واسترجعن من تألهي[1].

قال ابن جرير: « يعني من تعبدي وطلبي الله بعملي، ولا شك أن التأله: التفعل؛ من أله يأله، وأن معنى أَلَه - إذا نطق به - عَبَدَ الله »[2].

ثم أخرج عن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد رحمه الله قراءتهما: « ويذرك وإلاهتك»[3] وقال: « عبادتك »، ثم قال: « ولا شك أن الإلاهة على ما فسره ابن عباس ومجاهد مصدر من قول القائل أله اللهَ فلانٌ إلاهة، كما يقال: عبدَ الله عبادة، وعَبَرَ الرؤيا عبارة، فقد بين قول ابن عباس ومجاهد هذا؛ أن أَلَه: عبد، وأن الإلاهة مصدره »[4].

وقال الراغب: « إله: جعلوه اسمًا لكل معبود لهم، وكذا [اللات][5]، وسموا الشمس إلاهة لاتخاذهم إياها معبودًا، وأله فلان يأله: عبد، وقيل: تأله، فالإله على هذا هو المعبود »[6].

---

(١) ديوانه (١٦٥). وانظر الاستدلال به في « مقاييس اللغة » (٨٦)، و« تاج العروس » (١٦/ ٣٢٤)، و« تفسير ابن جرير » (١/ ٥٤).

(٢) « العقد الثمين » (١/ ٥٣) مع التوضيح والتبيين « رسالة علمية ».

(٣) ضعّف الشيخ أحمد شاكر هذه الرواية عن ابن عباس في تعليقه على « تفسير ابن جرير » (١/ ١٢٤).

(٤) « تفسير ابن جرير » (١/ ١٢٤).

(٥) في الأصل: « الذات ».

(٦) « المفردات » (٢١).

• **والخلاصة**: أن الإلهة في اللغة: العبادة، وأن الإله هو المعبود، فكل من عُبد فإنه يسمى إلها، وإن كان « الإله » عند الإطلاق إنما يطلق على الله سبحانه فحسب.

قال السويدي: « وأما الإله فإنه من أسماء الأجناس، يقع بأصل وضعه على كل معبود بحق أو باطل، لكن خُصص بالإطلاق على المعبود بالحق، وهو الله ﷻ »[١].

وقال البيضاوي: « الإله في الأصل لكل معبود، ثم غلب على المعبود بالحق، واشتقاقه من أله إلهة وألوهة وألوهية بمعنى عَبَد »[٢].

وأنبه في هذا المقام إلى أن بعض أهل العلم رأوا أن تعريف الإله بالمعبود مطلقا غير صحيح؛ وإنما الإله هو المستحق للعبادة.

قال الزجاجي: « فإن قال قائل: فإذا كان معنى إله معنى معبود؛ أفيجوز على هذا أن يسمى كل معبود إلاها كما يسمى معبودا؟ قيل: ذلك على الحقيقة غير جائز؛ لأن معنى الإله في الحقيقة: هو ذو الألوهية، أي المستحق للألوهية والعبادة »[٣].

---

(١) « العقد الثمين » (١/ ٥٣) مع التوضيح والتبيين « رسالة علمية ».

(٢) تفسيره (١/ ١٦).

(٣) « اشتقاق أسماء الله » (٣٠).

وقال العسكري: « الإله هو الذي يحق له العبادة ؛ فلا إله إلا الله، وليس كل معبود يحق[1] له العبادة؛ ألا ترى أن الأصنام معبودة، والمسيح معبود، ولا يحق له ولها العبادة »[2].

وما ذُكر إن أريد به أن « الإله » هو من يستحق العبادة لكماله؛ فليس بصواب؛ لأنه ينبني عليه ألا تسمى الأصنام وغيرها من المعبودات آلهة، وهذا خطأ قطعا؛ فقد سميت الأصنام في كتاب الله آلهة في نصوص كثيرة؛ فقد قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ﴾ [الأنعام:٧٤]، وقال عن المشركين: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾ [ص:٥]، وقال عن موسى عليه السلام: ﴿ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ﴾ [طه:٩٧]، وقال: ﴿ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ ﴾ [الصافات:٩١]، إلى غير ذلك من الآيات.

فإن قيل: إن تسمية الأصنام آلهة إنما هو باعتبار اعتقادهم فيها؛ كما قال الجوهري: « الآلهة: الأصنام، سموها بذلك لاعتقادهم أن العبادة تحق لها، وأسماؤهم تتبع اعتقاداتهم لا على ما عليه الشيء في نفسه »[3].

---

(١) في الأصل: « بحق ».

(٢) « الفروق » (١٥٢).

(٣) « الصحاح » (٦/ ٢٢٢٤).

والجواب: أن هذا محل نظر، ويفتقر إلى دليل، وما ورد من تسمية الأصنام آلهة لم يكن جميعه حكاية لقول المشركين؛ بل سماها الله تعالى بذلك في غير ما آية؛ فقال سبحانه: ﴿أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا﴾ [الأنبياء:٤٣]، وقال: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص:٨٨].

وأوضح من هذا قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الجاثية:٢٣]. قال ابن كثير: «أي إنما يأتمر بهواه؛ فمهما رآه حسنا فعله، ومهما رآه قبيحا تركه»[1]؛ فقد سمى الله سبحانه الهوى إلها لصاحبه مع أنه لم يعتقده مستحقا للعبادة.

فهذا كله دليل على ما سبق بيانه والاستشهاد عليه من كلام أهل العلم من أن الإله هو المعبود، وأن الإلهية هي العبادة دون تقييد بكونها بحق أو بباطل، وأن من عبد شيئا فقد اتخذه إلها بقطع النظر عن اعتقاده هل هو يراه مستحقا للعبادة أم لا.

ويزيد الأمر وضوحا أن استحقاق الإله العبادة إنما هو لاتصافه بصفات الكمال؛ وهذا ما لم يعتقده المشركون في آلهتهم - أصنامهم - فهم معتقدون أنها عاجزة عن الخلق والرَّزْقِ والتدبير، وأنها مملوكة لله غير مالكة، ولذا كانوا يلبون في الحج بقولهم: «لبيك لا شريك لك، إلا شريكا هو لك، تملكه

(١) تفسيره (٧/ ٢٦٨).

وما ملك »[1]، وما اتخاذهم لها آلهة إلا طمع في شفاعتها عند الله مع اعتقادهم عجزها وضعفها، قال الله سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزُّمَر:٣]، وقال سبحانه: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس:١٨].

وعليه فلم تكن مستحقة للإلهية عندهم لكمالها، ومع ذلك سموها آلهة، وسماها الله آلهة.

نعم؛ الإله يجب أن يكون واحدا؛ فلا يستحق هذا الوصف سواه جل جلاله، ولم يكن ليُعرف في غيره أو يطلق على غيره لولا أن الشياطين قد اجتالت كثيرا من بني آدم وزينت لهم عبادة سواه؛ فتعددت الآلهة وكثرت، والله المستعان.

قال الراغب: « و(إله) حقه أن لا يُجمع؛ إذ لا معبود سواه، لكن العرب لاعتقادهم أن ههنا معبودات جمعوه؛ فقالوا: آلهة »[2].

(١) أخرجه مسلم في « كتاب الحج »، باب التلبية وصفتها ووقتها (٢/ ٨٤٣) برقم (١١٨٥) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) « المفردات » (٢١).

• **والخلاصة**: أن المعبودات التي عبدت من دون الله هي آلهة لكونها عُبدت، وإن كانت في حقيقة الحال لا تستحق العبادة؛ فهي آلهة، ولكنها آلهة باطلة؛ فهذا الوصف ثابت لها من وجه، ومنفي عنها من وجه؛ ثابت من جهة الواقع، ومنفي من جهة الاستحقاق.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: « وليس المراد هنا بـ (الإله) من عبده عابدٌ بلا استحقاق، فإن هذه الآلهة كثيرة، ولكن تسميتهم آلهة والخبر عنهم بذلك واتخاذهم معبودين أمر باطل، كما قال تعالى: ﴿ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ﴾[النجم:٢٣]، وقال: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ ﴾[الحج:٦٢]، فالآلهة التي جعلها عابدوها آلهة يعبدونها كثيرة، لكن هي لا تستحق العبادة فليست بآلهة، كمن جعل غيره شاهدًا أو حاكمًا أو مفتيًا أو أميرًا وهو لا يحسن شيئا من ذلك[1] »[2].

(١) « مجموع الفتاوى » (١٤/ ١٧٢).

(٢) يحسن أن لا يُخلى المقام من التنبيه على أن الفخر الرازي نقل طعن بعض الناس في تعريف الإله بالمعبود من خمسة أوجه، خلاصتها ما يأتي:

١- أن الأوثان قد عُبدت مع أنها ليست آلهة.

٢- أنه تعالى إله الجمادات والبهائم مع أن صدور العبادة منهم محال.

٣- أنه تعالى إله المجانين والأطفال مع أنه لا تصدر العبادة عنها.

٤- أنه يلزم على هذا أن لا تكون الإلهية صفة له.

٥- أنه يلزم على هذا أن لا يكون إلها في الأزل.

المطلب الثالث: أهمية العلم بشهادة أن لا إله إلا الله

قد عُلم بالاضطرار أن شهادة التوحيد مفتاحُ الإسلام، وأصل الدين، وعمدة الملة؛ فلا إسلام لمن لم يأت بها اعتقادا وقولا وعملا.

ولا شك أن هذا لا يتحقق إلا بعد العلم بمعناها؛ فإن ترتُّب هذا على هذا ترتب البناء على الأساس، والفرع على الأصل؛ إذ الحكم على الشيء فرع عن تصوره.

انظر: تفسيره (١/ ١٤٥). وقبل أن أجيب عما أورده أنبه إلى أن الرازي - عفا الله عنه - لم يتعقب هذا الكلام، وظاهر هذا موافقته له، مع أنه قد قرر في موضع آخر من تفسيره أن الأصح في تفسير الإله: أنه المعبود، واستدل عليه من القرآن. انظر: تفسيره (٥/ ٣٤). أما الجواب عما أورده فهو على رسم الإيجاز:

أولًا: أن الأصنام سميت آلهة بنص القرآن، وقد مضى التدليل على ذلك.

ثانيًا: أن الله تعالى إله من يتوجه له بالعبادة دون من لم يعبده، انظر: «بدائع الفوائد» (٢/ ٧٨١). والجمادات والبهائم وغيرها عابدة لله بنص القرآن، انظر جملة من النصوص في هذا الباب في: «تفسير البغوي» (٦/ ٣٨٠)، و«تفسير ابن كثير» (٥/ ٤٠٣-٤٠٤).

ثالثًا: وأما ما ذكره عن صفة الألوهية: فالله سبحانه هو المستحق للألوهية لما اتصف به من الكمال المطلق في ذاته وصفاته؛ فالإله الحق هو الجامع لجميع صفات الكمال ونعوت الجلال، وهو الله سبحانه. انظر: «بدائع الفوائد» (٢/ ٧٨٢)، وإذا كان ذا الألوهية والعبودية على خلقه لكماله؛ كانت الألوهية صفة له.

رابعًا: ما ذكره من اللازم؛ وهو أن لا يكون إلها في الأزل؛ فغير صحيح؛ فالله سبحانه لم يزل خالقا؛ وعليه فهو لم يزل معبودا؛ تعبده مخلوقاته التي يخلقها، والمسألة لها تعلق بموضوع تسلسل الحوادث، والبحث فيها لا يتسع له المقام.

وعليه فمن لم يعلم معناها ويتصوره فهو كالهاذي أو النائم الذي لا يعقل ما يقول[1].

وذلك أن « كل من عقل عن الله يعلم علما ضروريا أن المقصود من الشهادتين ما دلتا عليه من الحقيقة والمعنى، وما اشتملتا عليه من العلم والعمل؛ وأما مجرد اللفظ من غير علم بمعناهما ولا اعتقاد لحقيقتهما فهذا لا يفيد العبد شيئا ولا يخلصه من شعب الشرك وفروعه »[2].

قال ابن جرير رحمه الله عند قوله تعالى: ﴿ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [الزُّخرُف: ٨٦]: «وشهادته بالحق وإقراره بتوحيد الله؛ يعني بذلك: إلا من آمن [بالله][3] وهم يعلمون حقيقة التوحيد »[4].

والمقصود أن من آكد ما يلزم المسلمَ العناية بفهم هذه الكلمة العظيمة، ومعرفة مدلولها معرفة صحيحة – وهو ما سيأتي بيانه قريبا بعون الله –؛ فأي علم ينفعه بعدُ إذا جهل معنى ما به نجاته وفلاحه؟!

(١) انظر: « مصباح الظلام » (١٦١).

(٢) المصدر السابق.

(٣) في الأصل: « الله ».

(٤) « تفسير الطبري » (٢٥/ ١٠٥).

وتتأكد هذه الأهمية حينما يفحش الانحراف في فهمها، ويكثر الجنوح عن الجادة في شرحها وبيانها - وهو واقع لا يجحد كما سيأتي - فكم هي تلك التفسيرات الخاطئة له التي حُشيت بها كثير من المؤلفات، ونطق بها كثير من أهل البدع، وكم ترتب على ذلك من انحرافات عظيمة قد تعصف بدين المرء، والله المستعان.

المبحث الأول: فضل « لا إله إلا الله »

إن فضل « لا إله إلا الله » شيءٌ لا يحيط به فكر، ولا يحصيه قلم، ومهما قيل عنها فهو غيض من فيض، بل نقطة من بحر؛ فهي أصل الملة، وأول الواجبات، وأوجب المأمورات، وكيف لا تكون كذلك « وهى الكلمة التي قامت بها الأرض والسموات، وفطر الله عليها جميع المخلوقات، وعليها أسست الملة، ونصبت القبلة، وجردت سيوف الجهاد، وهى محض حق الله على جميع العباد، وهى الكلمة العاصمة للدم والمال والذرية في هذه الدار، والمنجية من عذاب القبر وعذاب النار، وهى المنشور الذي لا يدخل أحد الجنة إلا به، والحبل الذي لا يصل إلى الله من لم يتعلق بسببه، وهي كلمة الإسلام، ومفتاح دار السلام، وبها تنقسم الناس إلى شقي وسعيد، ومقبول وطريد، وبها انفصلت دار الكفر من دار الإسلام، وتميزت دار النعيم من دار الشقاء والهوان، وهي العمود الحامل للفرض والسنة، ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة »[1].

« لا إله إلا الله » هي الكلمة التي أرسل الله بها رسله، وأنزل بها كتبه، ومن أجلها خلقت الدنيا والآخرة، والجنة والنار، وبها تُؤخذ الكتب باليمين أو الشمال، ويثقل الميزان أو يخف، وعليها أخذ الله الميثاق، وعليها الجزاء والمحاسبة، وعنها السؤال يوم التلاق، وهي كلمة الشهادة، ومفتاح دار

(١) « الداء والدواء » (٣٠١).

السعادة، وهي أصل الدين وأساسه ورأس أمره وساق شجرته وعمود فسطاطه، وبقية أركان الدين وفرائضه متفرعة عنها، متشعبة منها، مكملات لها، مقيدة بالتزام معناها والعمل بمقتضاها[1].

ويكفي أنها الشهادة العظمى؛ وأي شهادة أعظم من الشهادة التي شهد الله بها لنفسه؛ قال تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران:١٨][2].

وقد جاءت آيات الكتاب العزيز مبينة عن عظيم فضلها وشريف مكانتها، وأسوق جملة من ذلك فيما يأتي[3]:

١ - أنها كلمة الله العليا الواردة في قوله تعالى: ﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا﴾ [التوبة:٤٠]، كما قال ابن عباس وكثير من المفسرين[4].

---

(١) انظر: «معارج القبول» (١/ ٣٠١).

(٢) انظر: «الدرر السنية» (٢/ ٢١٢).

(٣) ليس المقصود تحقيق القول في تفسير الآيات التي أوردها، وإنما جمع ما جاء في فضلها من آي القرآن مما نص عليه أهل العلم. ويلاحظ أن بعض الآيات التي فُسرت بشهادة التوحيد تشمل - عند التأمل - غيرها من شرائع الدين، والاستدلال بها في هذا المقام على فضل الشهادة متجه؛ لأنها أول وأولى ما يدخل في معناها.

(٤) انظر: «تفسير الطبري» (١٠/ ١٣٧)، «تفسير ابن كثير» (٤/ ١٥٥)، «فتح القدير» (٢/ ٣٦٤).

٢- وهي دعوة الحق في قوله تعالى: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ﴾ [الرعد:١٤]، كما قال ابن عباس وقتادة وابن زيد وغيرهم(١).

٣- وهي الكلمة الطيبة في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [إبراهيم:٢٤]، كما قال ابن عباس وكثير من المفسرين(٢).

٤- وهي القول الثابت في قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [إبراهيم:٢٧]، كما قال كثير من المفسرين(٣).

٥- وهي كلمة التقوى في قوله تعالى: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [الفتح:٢٦]، في قول علي وابن عباس وابن عمر وقتادة ومجاهد وعطاء وغيرهم من السلف والخلف، وهو قول جمهور المفسرين(٤).

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٣/ ١٢٨)، «تفسير البغوي» (٤/ ٣٠٥)، «زاد المسير» (٧٣٠).

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (١٣/ ٢٠٣)، «تفسير ابن كثير» (٤/ ٤٩١)، «تفسير البغوي» (٤/ ٣٤٦)، «زاد المسير» (٧٤٥)، «المحرر الوجيز» (١٠٥٤).

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (١٣/ ٢١٨)، «تفسير ابن كثير» (٤/ ٥٠٢)، «تفسير البغوي» (٤/ ٣٤٩)، «زاد المسير» (٧٤٦/ ١٠٥٥).

(٤) انظر: «تفسير الطبري» (٢٦/ ١٠٤-١٠٥)، «تفسير ابن كثير» (٧/ ٣٤٥-٣٤٦)، «تفسير البغوي» (٧/ ٣٢١)، «تفسير القرطبي» (١٦/ ١٩٠)، «المحرر الوجيز» (١٧٣٧).

٦- وهي الحسنة في قوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾ [النمل:٨٩]، في قول ابن عباس ومجاهد وعكرمة وطائفة من السلف[١].

٧- وهي النعم الظاهرة والباطنة في قوله تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾[لقمان:٢٠]، في قول ابن عباس ومجاهد وغيرهما من السلف[٢].

وهي العروة الوثقى في قوله تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة:٢٦٥]، في قول سعيد بن جبير والضحاك[٣].

٨- وهي القول الأحسن في قوله تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [الإسراء:٥٣]، في قول طائفة من المفسرين[٤].

٩- وهي الحسنى في قوله تعالى: ﴿وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الليل:٦]، في قول بعض السلف[٥].

---

(١) انظر: « تفسير الطبري » (٢٠/ ٢٢-٢٣)، « تفسير ابن كثير » (٦/ ٢١٧)، « تفسير البغوي » (٦/ ١٨٣).

(٢) فُسرت بذلك على قراءة الإفراد (نعمة)، والجمع أيضًا (نعمه)، انظر: « تفسير الطبري » (٢١/ ٧٨).

(٣) انظر: « تفسير الطبري » (٣/ ٢٠)، « تفسير ابن كثير » (١/ ٦٨٨).

(٤) انظر: « المحرر الوجيز » (١١٤٩)، « تفسير البغوي » (٥/ ٩٩).

(٥) انظر: « المحرر الوجيز » (١٣٨٥)، « تفسير النسفي » (١٣٥٤)، « تفسير ابن كثير » (٨/ ٤١٧).

١٠- وهي من الباقيات الصالحات في قوله تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَـٰقِيَـٰتُ ٱلصَّـٰلِحَـٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف:٤٦]، في قول طائفة من السلف[١].

١١- وهي الكلمة الباقية التي جعلها إبراهيم عليه السلام في عقبه؛ كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزُّخرُف:٢٨]، في قول طائفة من السلف وأهل التفسير[٢].

١٢- وهي الحق في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَـٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزُّخرُف:٨٦]، في قول طائفة من المفسرين[٣].

١٣- وهي المثل الأعلى في قوله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [الروم:٢٧]، في قول مجاهد وقتادة، وهو اختيار ابن جرير[٤].

---

(١) انظر: «تفسير ابن كثير» (٥/ ١٦١)، «زاد المسير» (٨٥٤)، «تفسير البغوي» (٥/ ١٧٤).

(٢) انظر: «تفسير ابن كثير» (٧/ ٢٢٥)، «زاد المسير» (١٢٧٧)، «تفسير الطبري» (٢٥/ ٦٣).

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (٢٥/ ١٠٥)، «زاد المسير» (١٢٨٥).

(٤) انظر: «تفسير الطبري» (٢١/ ٣٨)، «تفسير البغوي» (٦/ ٢٦٨)، «فتح القدير» (٤/ ٢٢١)، «تفسير ابن كثير» (٦/ ٣١٢).

١٤- وهي الكلمة التي هي أقوم في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾[الإسراء:٩]، في قول طائفة من المفسرين(١).

١٥- وهي العهد في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴾ [مريم:٨٧]، كما قال ابن عباس وغيره(٢).

١٦- وهي الدين الخالص في قوله تعالى: ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾ [الزُّمَر:٣]، كما قال ذلك قتادة وغيره من المفسرين(٣).

١٧- وهي العدل في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ ﴾ [النحل:٩٠]، في قول ابن عباس(٤).

١٨- وهي القول الصواب في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبأ:٣٨]، في قول ابن عباس وعكرمة وأكثر المفسرين(٥).

---

(١) انظر: «تفسير المحرر الوجيز» (١١٣١)، «تفسير البغوي» (٥/ ٨٠).

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (١٦/ ١٢٨)، «تفسير ابن كثير» (٥/ ٢٦٥)، «تفسير الجلالين» (٤٩٥).

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (٢٣/ ١٩١)، «التسهيل» (٣/ ١٩٠)، «البحر المحيط» (٧/ ٤١٥).

(٤) انظر: «تفسير ابن كثير» (٤/ ٥٩٥)، «زاد المسير» (٧٩١)، «تفسير الطبري» (١٤/ ١٦٢).

(٥) انظر: «تفسير ابن جرير» (٣٠/ ٢٤)، «التسهيل» (٤/ ١٧٤)، «زاد المسير» (١٥٠٩).

١٩- وهي الكلم الطيب في قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر:١٠]، في قول ابن عباس وغيره من المفسرين[١].

٢٠- وهي الطيب من القول في قوله تعالى: ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ [الحج:٢٤]، في قول ابن عباس وغيره من السلف، وهو اختيار ابن جرير[٢].

٢١- وهي الكتاب الذي أورثه الله الذين اصطفى من عباده في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ [فاطر:٣٢]، في قول بعض السلف[٣].

٢٢- وهي الصدق في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [الزُّمَر:٣٣]، في قول ابن عباس[٤].

٢٣- وهي الدين الواصب في قوله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا﴾[النحل:٥٢]، في قول عكرمة[٥].

---

(١) انظر: «البحر المحيط» (٧/ ٣٠٣)، «زاد المسير» (١١٥٩).

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (١٧/ ١٣٦)، «تفسير ابن كثير» (٥/ ٤٠٨)، «تفسير البغوي» (٥/ ٣٧٦).

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (٢٢/ ١٣٥).

(٤) انظر: «تفسير الطبري» (٢٤/ ٣)، «تفسير ابن كثير» (٧/ ٩٩).

(٥) انظر: «زاد المسير» (٧٨١).

٢٤- وهي الكلمة السواء - أي العدل - في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ [آل عمران:٦٤]، في قول بعض المفسرين[١].

٢٥- وهي القول السديد في قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا﴾[الأحزاب:٧٠]، في قول ابن عباس وعكرمة وغيره من المفسرين[٢].

(١) انظر: «زاد المسير» (٢٠٠)، «تفسير الطبري» (٣/ ٣٠٤).

(٢) انظر: «التسهيل» (١٤٥)، «زاد المسير» (١١٤٠)، «تفسير ابن جرير» (٢٢/ ٥٣)، «تفسير ابن كثير» (٦/ ٤٨٨).

وأما سنة النبي عليه الصلاة والسلام؛ فقد تكاثرت فيها الأحاديث المبينة فضل هذه الكلمة العظيمة، وسوف أنتقي جملة من فضائلها الواردة فيها فيما يأتي:

١- أنها أول أركان الإسلام، وأعلى شعب الإيمان، وأرفع مقامات الدين، وأصل أصوله.

قال عليه الصلاة والسلام: (بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان)[1].

وقال عليه الصلاة والسلام: (الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة؛ فأفضلها قول لا إله إلا الله، و أدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان)[2].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب « الإيمان »، باب دعاؤكم إيمانكم (١/ ٤٩) - مع الفتح، برقم (٨)، ومسلم في كتاب « الإيمان »، باب بيان أركان الإسلام (١/ ٤٥) برقم (١٦) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب « الإيمان »، باب أمور الإيمان (١/ ٥١) مع الفتح، برقم (٩)، ومسلم في صحيحه في كتاب « الإيمان »، باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها وفضيلة الحياء وكونه من الإيمان (١/ ٦٣) برقم (٣٥)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، واللفظ لمسلم.

٢- أن صاحبها أسعد الناس بشفاعة النبي عليه الصلاة والسلام.

قال عليه الصلاة والسلام: « أسعد الناس بشفاعتي من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه، أو نفسه »[(١)].

٣- أنها أول ما يؤمر به من الدين.

قال عليه الصلاة والسلام لمعاذ رضي الله عنه: (إنك تأتي قوما من أهل الكتاب، فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ...)[(٢)].

وفي رواية أخرى في الصحيحين: (ليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله عز وجل).

٤- أنها سبب الفلاح.

قال عليه الصلاة والسلام: (قولوا لا إله إلا الله تفلحوا)[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب « العلم »، باب الحرص على الحديث (١/ ١٩٣) مع الفتح برقم (٩٩).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الإيمان، باب لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة (٣/ ٣٢٢) برقم (١٤٥٨)، ومسلم في صحيحه، في كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين و شرائع الإسلام (١/ ٥٠) برقم (١٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، واللفظ لمسلم.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٢٥/ ٤٠٤) برقم (١٦٠٢٣) من حديث ربيعة بن عباد رضي الله عنه وجود إسناده الألباني في « صحيح السيرة » (١٤٢).

٥- أنها سبب عصمة الدم والمال.

قال عليه الصلاة والسلام: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة؛ فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله)[١].

٦- أنها أفضل الذكر وخير القول.

قال عليه الصلاة والسلام: (خير الدعاء دعاء يوم عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير)[٢].

٧- أنها سبب مغفرة الذنوب.

قال عليه الصلاة والسلام: (ما من نفس تموت وهي تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، يرجع ذاك إلى قلب موقن إلا غفر الله لها)[٣].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الإيمان، باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم (١/ ٧٥) برقم (٢٥)، ومسلم في صحيحه، في كتاب الإيمان: باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا « لا إله إلا الله » (١/ ٥٣) برقم (٢٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات، باب في دعاء يوم عرفة (٥/ ٥٣٤) برقم (٣٥٨٥)، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما وحسنه الألباني في « السلسلة الصحيحة » برقم (١٥٠٣).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٣٦/ ٣٢٣) برقم (٢١٩٩٨)، وابن ماجه في سننه في كتاب الأدب، باب فضل لا إله إلا الله (٢/ ١٢٤٧)، برقم (٣٧٩٦) من حديث معاذ رضي الله عنه وحسنه الألباني في « السلسلة الصحيحة » برقم (٢٢٧٨).

٨- أنها سبب تثقيل الميزان.

قال عليه الصلاة والسلام: (إن الله سيخلص رجلا من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا كل سجل مثل مد البصر، ثم يقول: أتنكر من هذا شيئا؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: أفلك عذر؟ فيقول: لا يارب، فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة، فإنه لا ظلم عليك اليوم، فتخرج بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، فيقول: احضر وزنك، فيقول: يارب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فقال: إنك لا تظلم، قال: فتوضع السجلات في كفة، والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات، وثقلت البطاقة، فلا يثقل مع اسم الله شيء)[(١)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: « وإن قالها [أي كلمة التوحيد] على وجه خلص به من الشرك الأكبر دون الأصغر، ولم يأت بعدها بما يناقض ذلك؛ فهذه الحسنة لا يقاومها شيء من السيئات؛ فيرجح بها ميزان الحسنات، كما في حديث البطاقة »[(٢)].

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الإيمان، باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله (٥/ ٢٥) برقم (٢٦٤٠)، وابن ماجه في كتاب الزهد، باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة (٢/ ١٤٣٧) برقم (٤٣٠٠)، وأحمد في مسنده (١١/ ٥٧١) برقم (٦٩٩٤) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما وصححه الألباني في « السلسلة الصحيحة » برقم (١٣٥).

(٢) « تفسير آيات أشكلت » (١/ ٣٦١).

٩- أنها سبب دخول الجنة.

قال عليه الصلاة والسلام: (أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما إلا دخل الجنة)[١].

وقال عليه الصلاة والسلام: (فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنا بها قلبه فبشره بالجنة)[٢].

وقال عليه الصلاة والسلام: (من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة)[٣].

١٠- أنها سبب النجاة من النار.

قال عليه الصلاة والسلام : (لن يوافي عبد يوم القيامة لا إله إلا الله يبتغي بها وجه الله إلا حرم الله عليه النار)[٤].

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا (١/ ٥٦) برقم (٢٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا (١/ ٦٠) برقم (٣١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا (١/ ٥٥) برقم (٢٦) من حديث عثمان رضي الله عنه .

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب العمل الذي يبتغى به وجه الله (١١/ ٢٤١) مع الفتح برقم (٦٤٢٣) من حديث عتبان بن مالك رضي الله عنه .

وفي رواية: (فإن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله)[1].

قال عليه الصلاة والسلام: (ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صدقا من قلبه إلا حرمه الله على النار)[2].

وهذه الأحاديث التي دلت على دخول أهل « لا إله إلا الله » الجنة ونجاتهم من النار لا تتعارض مع النصوص التي دلت على أن من عصاة المسلمين من يدخل النار؛ فإن أهل « لا إله إلا الله » في الجنة قطعا؛ إما ابتداء وإما مآلا، وهم ناجون من دخول النار أو من الخلود فيها.

فمن أتى بكلمة الإخلاص مع القيام بحقوقها ولوازمها على وجه الكمال؛ فهو من أهل الجنة الناجين من دخول النار برحمة الله، ومن قصّر في أداء حقوقها - بترك الواجبات، أو فعل المحرمات - فهو بين عفو الله وعقوبته؛ فإن شاء الله تعذيبه في النار على سيئاته فمآله إلى الجنة، وإن شاء العفو عنه فهو من أهل الجنة ابتداء.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب المساجد، باب الرخصة في التخلف عن الجماعة لعذر (١/ ٤٥٦) برقم (٣٣) من حديث عتبان بن مالك رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب من خص بالعلم قوما دون قوم (١/ ٢٢٥) مع الفتح برقم (١٢٨) من حديث أنس رضي الله عنه.

ومن أحسن من وجّه هذه النصوص شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حيث قال: « فهذه الأحاديث إنما هي فيمن قالها ومات عليها كما جاءت مقيدة؛ فإنه قد تواترت الأحاديث بأنه يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه ما يزن شعيرة، وما يزن خردلة، وما يزن ذرة، بل كثير ممن يقول لا إله إلا الله يدخل النار أو أكثرهم، ثم يخرج منها.

وتواترت الأحاديث بأنه يحرم على النار من قال لا إله إلا الله، ومن شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، ولكن جاءت مقيدة بالإخلاص واليقين، وبموتٍ عليها، فكلها مقيدة بهذه القيود الثقال.

وأكثر من يقولها لا يعرف الإخلاص ولا اليقين، ومن لا يعرف ذلك يُخشى عليه من أن يفتن عنها عند الموت فيحال بينه وبينها... فالذي قالها بيقين وصدق تام: إما أن لا يكون مصرا على سيئة أصلا، أو يكون توحيده المتضمن لصدقه ويقينه رجّح حسناته.

والذين دخلوا النار قد فات فيهم أحد الشرطين؛ إما أنهم لم يقولوها بالصدق واليقين التام المنافي للسيئات أو لرجحانها على الحسنات، أو قالوها واكتسبوا سيئات رجحت على حسناتهم فضعف لذلك صدقهم ويقينهم؛ فلم يقولوها بعد ذلك بصدق ويقين يمحو سيئاتهم أو يرجح حسناتهم »[1].

---

(١) « تفسير آيات أشكلت » (١/ ٣٥٨-٣٦٣). وكلامه رحمه الله قد اختصرته لضيق المقام، وإلا فهو تقرير حسن مستطاب، يحسن الرجوع إليه كاملا لجودته ونفاسته.

المبحث الثاني: إعراب « لا إله إلا الله »، وما يترتب على الخطأ في إعرابها

إن إعراب كلمة التوحيد موضوع ذو أهمية بالغة؛ إذ إنه سبب لفهم معناها، ومعرفة الصواب في تفسيرها.

وهذا الموضوع قد تكلم فيه أهل العلم كثيرا، وأفردوه بمؤلفات عدة، وسأسعى في تلخيص أهم مباحثه فيما يأتي بعون الله.

تشتمل كلمة التوحيد « لا إله إلا الله » على أربع كلمات، وإعرابها ما يأتي:

- « **لا** »: هي النافية للجنس[1]، العاملة عمل « إنّ »[2]، وهي أقعد بالنفي

---

(١) خلاف التي أريد بها نفي الوَحدة؛ وهي التي تعمل عمل « ليس »، نحو: لا رجلٌ في الدار بل رجلان. انظر: « شرح قطر الندى » (١٨٩).قال ابن هشام: « ولهذا لا يدخل في الإسلام بقوله: لا إلهٌ إلا الله - برفع « إله » - لاحتمال نفي الوحدة فقط » « مغني اللبيب » (٢/ ٣٤٧). وهذا الحكم قد يكون له وجهه قبل ضعف اللسان العربي وغلبة العجمة؛ وأما بعد ذلك فلا يتجه ما قاله في حق من نطق بكلمة الشهادة معتقدا معناها ولحن هذا اللحن.

(٢) قال ابن مالك: « **عمل إن اجعل للا في نكرة مفردة جاءتك أو مكررة** » ألفيته (٢/ ٥) - مع « شرح ابن عقيل ».

وسبب عمل « لا » عمل « إن » أمران: ١- شبهها لها؛ لدخولها على المبتدأ والخبر.

٢- أنها نقيضة « إن »؛ لأن « لا » للنفي، و« إن » للإيجاب. قال ابن يعيش: « وحق النقيض أن يخرّج على حق نقيضه في الإعراب » « شرح المفصل » (١/ ١٠٥).

العام من « ما »[1].

ومعنى كونها نافية للجنس: أنها « تنفي الحكم عن كل فرد من أفراد جنس الشيء الذي دخلت عليه »[2].

قال ابن هشام: « وهي التي أريد بها نفي الجنس على سبيل التنصيص لا على سبيل الاحتمال »[3].

وتسمى أيضا: « لا » التبرئة؛ « لأنها تدل على تبرئة جنس اسمها كله من معنى خبرها »[4].

---

(١) انظر: « معنى لا إله إلا الله » (٨٩).

(٢) « ضياء السالك إلى أوضح المسالك » (١/ ٣٥١). وسبب كونها نافية للجنس: أنها واقعة في جواب نحو: هل من رجل في الدار؟ فدخول « مِن » هنا لاستغراق الجنس، ولذا اختصت بالنكرات لشمولها، والجواب قُدر فيه « من » التي هي للاستغراق؛ فيكون التقدير: لا من رجل في الدار؛ ليكون النفي عاما، ثم حذفت « من » من الكلام تخفيفا وتضمن الكلام معناها. انظر: « أسرار العربية » للأنباري (٩٩)، و« شرح المفصل » (١/ ١٠٥)، و« التصريح على التوضيح » (١/ ٢٣٦).

(٣) « شرح شذور الذهب » (٢٠٩).

(٤) « ضياء السالك » (١/ ٣٥١). وانظر: « مغني اللبيب » (١/ ٢٣٧)، و« شرح ابن عقيل » (٢/ ٥)، و« التصريح على التوضيح » (١/ ٢٣٥).

وأما كونها تعمل عمل « إن » - أي تنصب الاسم وترفع الخبر - فشرطه أن يكون اسمها وخبرها نكرتين[1]؛ لأن « لا » تنفي نفيا عاما مستغرقا؛ فلا يكون بعدها معيَّن[2].

- (إله): اسم « لا » مبني[3] على الفتح[4] في محل نصب.

---

(١) انظر: « أسرار العربية » (١٠٠)، و« شرح الشذور » (٢٠٩-٢١٠)، و« شرح قطر الندى» (١٨٩)، و« أوضح المسالك » (١/ ٣٥١)، و« مغني اللبيب » (١/ ٢٣٨)، و« شرح ابن عقيل » (٢/ ٦)، و« ارتشاف الضرب » (١٢٩٥).

(٢) انظر: « شرح المفصل » (٢/ ١٠٣).

(٣) فإن من المتقرر أن اسم « لا » إذا كان مفردا - أي ليس مضافا ولا شبيها بالمضاف - فإنه يُبنى على ما ينصب به لو كان معربا. انظر: « مغني اللبيب » (١/ ١٣٨)، و« شرح قطر الندى » (١٩٠).

واختلفوا في سبب بناء اسم « لا »؛ فقيل: لتضمنه معنى « مِن » الاستغراقية، وقيل: لتركبه مع « لا » تركيب خمسة عشر، وكثير من المحققين على الثاني، وهو اختيار سيبويه. على أنه إذا قيل إن سبب بناء « خمسة عشر » تضمن معنى حرف العطف فقد رجع القول الثاني إلى الأول. انظر: « شرح المفصل » (١/ ١٠٦).

وذهب بعض الكوفيين إلى أن اسم « لا » منصوب، وحركته حركة إعراب، والصواب الأول. انظر: « أسرار العربية » (٩٩-١٠٠)، و« شرح المفصل » (١/ ١٠٦)، و« ارتشاف الضرب» (١٢٩٦).

(٤) قال ابن يعيش: « وخُص بالفتحة لأنها أخف الحركات، وليس الغرض إلا تحريكه؛ فلم يكن بنا حاجة إلى تكلف ما هو أثقل منها » « شرح المفصل » (١/ ١٠٦).

وخبر « لا »[1] محذوف على القاعدة في خبر « لا » إذا عُلم؛ حيث يكثر حذفه عند الحجازيين، ويلتزمه التميميون والطائيون[2].

قال ابن هشام: « وقد كثر حذف خبر « لا » هذه حتى قيل إنه لا يُذكر »[3].

وقال أبو حيان: « وأكثر ما يحذفه الحجازيون مع « إلا »، نحو: لا إله إلا الله »[4].

وذهب بعضهم إلى أن خبر « لا » غير محذوف؛ وهو الاسم المعظم « الله »[5].

---

(١) ذهب بعض النحاة إلى أن « لا » لا ترفع خبرا؛ وإنما الخبر مرفوع بالمبتدأ. والمختار أنها تعمل في المبتدأ والخبر؛ لأنها داخلة عليهما؛ فهي تقتضيهما جميعا، وما اقتضى شيئين وعمل في أحدهما عمل في الآخر. انظر: « شرح المفصل » (١/ ١٠٦).

(٢) انظر: « منهج السالك » (٨٩)، و« شرح الشذور » (٢١١)، و « أوضح المسالك » (١/ ٣٦٩-٣٧٠)، و « مغني اللبيب » (١/ ٢٣٩)، و« شرح ابن عقيل » (٢/ ٢٥)، و« ارتشاف الضرب » (١٢٩٩)، و« شرح المفصل » (١/ ١٠٧).

وقال ابن مالك: « **وشاع في ذا الباب إسقاط الخبر   إذا المراد مع سقوطه ظهر** ».

الألفية (٢/ ١١) مع « شرح ابن عقيل » ومن أمثلته: قوله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ ﴾ [الشعراء: ٥٠] أي علينا، وقوله: ﴿فَلَا فَوْتَ ﴾ [سبأ: ٥١] أي لنا، ويقولون: لا بأس: أي عليك.

(٣) « مغني اللبيب » (٢/ ٦٣١).

(٤) « ارتشاف الضرب » (١٣٠٠).

(٥) نقل هذا القول غير واحد؛ منهم: ابن هشام في « مغني اللبيب » (٢/ ٥٧٢)، وابن يعيش في « شرح المفصل » (١/ ١٠٧).

وهو غير صحيح؛ قال ابن هشام: « ويرُدُّه أنها [أي: « لا »] لا تعمل إلا في نكرة منفية، واسم الله تعالى معرفة موجِبة »[1].

فاتضح أن الصواب - وهو ما عليه أكثر العلماء - أن الخبر محذوف.

واختلفوا في تقديره إلى أقوال، أشهرها ما يأتي:

١- أنه: « موجود »، أو: « في الوجود »[2].

وهذا التقدير خطأ لوجهين:

الأول: أنه يوهم معنى باطلا؛ ألا وهو الاتحاد؛ «« فإن الإله هو المعبود، فإذا قيل: « لا معبود موجود إلا الله » لزم منه أن كل معبود عُبد بحق أو باطل هو الله؛ فيكون ما عبده المشركون من الشمس والقمر والنجوم والأشجار والأحجار والملائكة والأنبياء والأولياء وغير ذلك هي الله؛ فيكون ذلك كله توحيدا؛ فما عُبد على هذا التقدير إلا الله؛ إذ هي هو، وهذا - والعياذ بالله - أعظم الكفر وأقبحه على الإطلاق، وفيه إبطال لرسالات جميع الرسل، وكفر بجميع الكتب، وجحود لجميع الشرائع، وتكذيب بكل ذلك، وتزكية لكل كافر من أن يكون كافرا؛ إذ كل ما عبده من المخلوقات

---

(١) « مغني اللبيب » (٢/ ٥٧٢). وانظر: « شرح المفصل » (١/ ١٠٧) فقد ذكر مثله، وأضاف وجها آخر.

(٢) انظر: « ارتشاف الضرب » (١٣٠٠)، والمفصل - مع شرحه لابن يعيش (١/ ١٠٧)، و« معنى لا إله إلا الله » (٧٤)، و« تفسير الرازي » (٢/ ١٤٩)، و« الجامع لأحكام القرآن » (٣/ ٢٥٩)، و« البحر المحيط » (١/ ٦٣٧) و« مغني اللبيب » (٢/ ٧٤٧).

هو الله؛ فلم يكن عندهم مشركًا بل موحدًا، تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علوًّا كبيرًا »[1].

ولا شك أن هذا اللازم يلتزمه أهل الحلول والاتحاد، وأما غيرهم - ممن قدر هذا التقدير - فلم يقصدوه بالتأكيد، بل ربما لم يخطر ببالهم، وعليه فلا يصح أن يُنسب قولا لهم إلا أن يصرحوا بذلك. وإيراد هذا اللازم إنما هو لبيان بطلان هذا التقدير؛ فإن لازم القول ليس بقول؛ لكنه يدل على صحته أو بطلانه.

الثاني: أن هذا التقدير فيه مخالفة للواقع، وإنكار حقيقة لا تُجحد؛ ألا وهي وجود آلهة تعبد مع الله.

قال القرافي: « فإن نفي المعبود مطلقا ليس بصادق؛ فإن المعبودات واقعة كثيرا، من الشجر والحجر والكواكب وغير ذلك؛ فلا يصدق الإخبار عن النفي إلا إذا قُيد بالاستحقاق »[2].

بقي التنبيه على أمر مهم؛ وهو: أن كثيرا ممن قدر الخبر بـ« موجود » أو «في الوجود » يفسرون الإله بـ: « المعبود بحق »؛ فيكون معنى «لا إله إلا الله» عندهم: لا معبود بحق في الوجود إلا الله. وهذا صواب[3].

---

(١) « معارج القبول » (١/ ٣٠٥).

(٢) « الاستغناء في أحكام الاستثناء » (٣٩٥-٣٩٦). وانظر: « معنى لا إله إلا الله » (٧٤).

(٣) انظر: « معارج القبول » (١/ ٣٠٦).

فهؤلاء وإن كان تفسيرهم للإله فيه نظر - كما سبق - إلا أنهم قد وافقوا الحق في معنى الشهادة، والله أعلم.

٢- أن تقدير الخبر: « لنا »[١]؛ فيكون معنى لا إله إلا الله: لا معبود لنا إلا الله.

وهذا التقدير غير صحيح؛ إذ لو كان المراد ذلك لكانت الشهادة توحيدا لإلهنا لا توحيدا للإله المطلق[٢]. أي أنه يمكن قد يُفهم من هذا التقدير: أن إلهنا هو الله وحده، ويصح أن يكون لغيرنا إله سواه؛ وهذا باطل.

٣- أن الخبر: « حق » أو « بحق »؛ فيكون معنى لا إله إلا الله: لا معبود حقٌّ أو بحق إلا الله. وهذا هو التقدير الصواب[٣] الذي لا يصح غيره، وهو الذي دل عليه كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام.

قال الزركشي: « فالأحسن تقدير الأخير [أي: « بحق »] لما ذُكر، ولتكون الكلمة جامعة لثبوت ما يستحيل نفيه، ونفي ما يستحيل ثبوته »[٤].

---

(١) انظر: « تفسير الرازي » (٤/ ١٤٩)، و« البحر المحيط » (١/ ٤٦٣)، و« معنى لا إله إلا الله » (٧٤).

(٢) انظر: « تفسير الرازي » (٤/ ١٤٩)، و« البحر المحيط » (١/ ٤٦٣).

(٣) انظر: « معارج القبول » (١/ ٣٠٥)، و« مجموع فتاوى » سماحة الشيخ عبد العزيز ابن باز (١/ ٢٢١).

(٤) « معنى لا إله إلا الله » (٧٥). وانظر: « الاستغناء في أحكام الاستثناء » (٣٩٥-٣٩٦)، و« الكليات » (٩٧٤)، و« فتح القدير » (١/ ٢٧١).

وسيأتي في مبحث « معنى الشهادة » نقل الأدلة عليه، وسوق جملة وافرة من كلام أهل العلم في تقرير ذلك.

- « إلا »: أداة استثناء، وهي حرف باتفاق[١].

- « الله »: اسم الجلالة بعد « إلا » فيه بحث واختلاف طويل، من جهة كونه مرفوعا أو منصوبا[٢]، وإذا كان مرفوعا هل على الخبرية أو البدلية أو على غير ذلك؟

والراجح - وهو الذي عليه أكثر العلماء - أنه مرفوع، وهو الفصيح الغالب في اللغة في مثل هذا التركيب، بل لم تأت كلمة التوحيد في كتاب الله بنصب الاسم بعد « لا » في قراءة ولو شاذة[٣].

---

(١) انظر الكلام عليها في: « الاستغناء في أحكام الاستثناء » (١٠٣)، و« مغني اللبيب » (١/ ٧٠).

(٢) انظر: ما نقله ابن هشام في رسالته: « إعراب لا إله إلا الله » (٤٧) - مجلة الجامعة الإسلامية (العددان ٨١-٨٢). وقد أوصل الأقوال في رفعه إلى سبعة أقوال، كما بين أن للنصب وجهين إعرابيين، انظرهما في هذه الرسالة (٦٣).

(٣) انظر: مقدمة تحقيق رسالة ابن هشام السابقة للدكتور حسن بن موسى الشاعر؛ فقد قام بتتبع نصوص القرآن والسنة وأشعار العرب للوقوف على حالات الاسم الواقع بعد « إلا » في كلمة التوحيد وما جاء على نمطها، وخلص إلى أن الرفع هو الفصيح الغالب في اللغة، وهو الذي لم يرد في القرآن - ولو في قراءة شاذة - والسنة سواه، وأن النصب قد ورد في بعض الأبيات الشعرية على قلة. انظر مقدمته (٤٣).

قال الكفوي: « ففيه [أي الاسم العظيم] وجهان: الرفع؛ وهو الأرجح؛ لأن السماع والأكثر: الرفع، والنصب؛ وهو مرجوح، ولم يأت في القرآن غير الرفع »[1].

والصحيح أنه بدلٌ لا خبر، « وهو المشهور الجاري على ألسنة المعربين»[2].

والأقرب - فيما يظهر - والأبعد عن الإشكالات والإيرادات: أنه بدل من الضمير المستكن - المستتر - في الخبر المحذوف.

قال ابن هشام: « وهذا لا كلفة فيه، واختاره بعض المتأخرين »[3].

---

(١) « الكليات » (٩٧٢).

(٢) المصدر السابق.

(٣) « إعراب لا إله إلا الله » (٥٣) - مجلة الجامعة الإسلامية (العددان ٨١-٨٢).

وممن اختار هذا القول: أبو حيان في تفسيره (١/ ٤٦٣)، والكفوي في « الكليات » (٩٧٣)، والأزهري في « التصريح » (١/ ٣٥١)، والسويدي في « العقد الثمين » (٢٦٠) - مع التوضيح والتبيين، والعثيمين في « القول المفيد » (١/ ١٥٢).

المبحث الثالث: معنى « لا إله إلا الله »، وأدلة ذلك

يحسن أن أقدم بين يدي بيان معنى شهادة التوحيد وسوق كلام أهل العلم فيه - التنبيه على أن الفهم الصواب لـ « لا إله إلا الله » ينبني على حسن الفهم لأمرين، وما وقع الخلل في هذا الباب إلا بسبب الخطأ فيهما:

الأول: معنى « الإله ».

الثاني: خبر « لا » المقدر.

وقد تجلى سابقا أن معنى « الإله »: المعبود.

وأن خبر « لا » المقدر: حقٌّ.

وعليه فالحق الذي لا ريب فيه أن معنى « لا إله إلا الله »: **لا معبود حقٌّ إلا الله**[1].

والمراد: « **البراءة مما يُعبد من دون الله، وإفراد الله بالعبادة** »[2].

وتوضيح ذلك: أن « لا إله إلا الله » جملة مكونة من جزأين؛ يطلق عليهما أهل العلم: الركنين؛ وهما: النفي والإثبات؛ فـ « لا إله »: نفي، و« إلا الله »: إثبات؛ « نفي العبودية عما سوى الله، وإثباتها له وحده لا شريك له »[3].

---

(١) انظر: « تيسير العزيز الحميد » (١/ ٢٠٦).

(٢) المصدر السابق (١/ ٣٣٣).

(٣) المصدر السابق (١/ ٢٠٧)، وحاشية « كتاب التوحيد » (٢٩).

وهذا الأسلوب أبلغ أساليب الحصر[1]؛ وهو الذي يفيد: « إثبات الحكم للمذكور ونفيه عما عداه »[2].

قال المناوي: « أداة الحصر لقصر الصفة على الموصوف قصر إفراد؛ لأن معناه: الألوهية منحصرة في الإله الواحد، في مقابلة من زعم اشتراك غيره معه »[3].

وهذا النفي والإثبات هو حقيقة الكفر بالطاغوت والإيمان بالله الذي جاء في قوله تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّـٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة:٢٦٥]. فشطر كلمة التوحيد الأول هو الكفر بالطاغوت، وشطرها الثاني هو الإيمان بالله.

وقال الكفوي: « (لا إله إلا الله) هي كلمة التوحيد والإخلاص والنجاة والتقوى والعليا والطيّبة والقول الثابت، **أولها نفي وآخرها إثبات، دخل أولها على القلب فجلا ثم تمكن آخرها فخلا، فنسخت ثم رسخت، وسلبت ثم أوجبت، ومحت ثم أثبتت، ونقضت ثم عقدت، وأفنت ثم أبقت** »[4].

---

(١) انظر: « معنى لا إله إلا الله » (٨٣).

(٢) « الكليات » (٩٧٢).

(٣) « فيض القدير » (١/ ٣٩٥).

(٤) « الكليات » (٩٧١).

وقال الشيخ عبد الرحمن ابن قاسم: « معنى (لا إله إلا الله): النفي والإثبات، والولاء والبراء، والتجريد والتفريد. وهذه التفاسير ونحوها ترجع إلى معنى واحد، وهو: تجريد غير الله عن الألوهية، وتفريدها لله وحده دون كل من سواه، والبراءة من تأله غير الله بالكلية »[1].

ونظرا لأهمية هذا الموضوع وعظم شأنه سأنقل جملة من كلام أهل العلم في ذكر معنى شهادة التوحيد.

• قال الطبري رحمه الله: « (وأن لا إله إلا هو): يقول: وأيقنوا أيضا أن لا معبود يستحق الألوهة على الخلق إلا الله الذي له الخلق والأمر، فاخلعوا الأنداد والآلهة، وأفردوا له العبادة »[2].

• وقال أيضا - عند تفسير قوله تعالى: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ [محمد:١٩]: « فاعلم يا محمد أنه لا معبود تنبغي أو تصلح له الألوهة، ويجوز لك وللخلق عبادته، إلا الله الذي هو خالق الخلق، ومالك كل شيء »[3].

• وقال ابن هبيرة: «... فإذا قلت: لا إله إلا الله؛ فقد اشتمل نطقك هذا على أن ما سوى اللهّ ليس بإله، فيلزمك إفراده سبحانه بذلك وحده.

(١) « حاشية ثلاثة الأصول » (٥٤).

(٢) « جامع البيان » (١٢/ ١٠).

(٣) المصدر السابق (٢٦/ ٥٣). وانظر أيضا كلاما له حسنا في هذا المعنى في (٢/ ٦٠).

قال: وجملة الفائدة في ذلك أن تعلم أن هذه الكلمة هي مشتملة على الكفر بالطاغوت والإيمان بالله، فإنك لما نفيت الإلهية، وأثبت الإيجاب لله سبحانه، كنت ممن كفر بالطاغوت وآمن بالله »[1].

• وقال البغوي في تفسيرها: « أي هو المستحق للعبادة والسجود لا غيره »[2].

• وقال أبو حيان: « (لا إله إلا هو): توكيدٌ لمعنى الوحدانية ونفي الإلهية عن غيره، وهي جملة جاءت لنفي كل فرد فرد من الآلهة، ثم حصر ذلك المعنى فيه تبارك وتعالى »[3].

• وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: « إذا شهد أن لا إله إلا هو فقد أخبر وبيّن وأعلم أن ما سواه ليس بإله فلا يعبد، وأنه وحده الذي يستحق العبادة »[4].

• وقال ابن القيم: « وهذه أعظم كلمة تضمنت بالوضع نفي الإلهية عما سوى الله وإثباتها له بوصف الاختصاص، فدلالتها على الإثبات أعظم من دلالة قولنا: الله إله، ولا يستريب أحد في هذا البتة »[5].

---

(١) نقله الشيخ سليمان بن عبد الله في « تيسير العزيز الحميد » (١/ ٢١٠).

(٢) تفسيره (٦/ ١٥٧).

(٣) « البحر المحيط » (١/ ٤٦٢).

(٤) « مجموع الفتاوى » (١٤/ ١٧١).

(٥) « بدائع الفوائد » (٣/ ٩٢٦).

• وقال البيضاوي في تفسيرها: « والمعنى: أنه المستحق للعبادة لا غيره »[1].

• وقال ابن كثير في تفسيرها: « لا يستحق ذلك على العباد، ولا تنبغي العبادة إلا له »[2].

• وقال الشربيني في تفسيرها: « لا معبود بحق في الوجود إلا الله »[3].

• وقال البقاعي في تفسيرها: « فهذا تقرير للوحدانية بنفي غيره وإثباته؛ فلا يصح بوجه، ولا يمكن في عقل أن يصلح للإلهية غيره أصلا، فلا يستحق العبادة إلا هو »[4].

• وقال السيوطي في تفسيرها: « لا معبود بحق في الوجود إلا هو »[5].

• وقال المناوي: « (لا إله) أي لا معبود بحق (إلا الله)؛ جمع في الشهادتين بين النفي والإثبات مع تنزيه الإله الحق المثبت له ذلك عما لا يليق بكمال جلال وحدانيته »[6].

---

(١) تفسيره (١/ ٢٥٧).

(٢) تفسيره (٥/ ٣١٤).

(٣) « مغني المحتاج » (١/ ٦).

(٤) « نظم الدرر » (٢/ ٢٨٠-٢٨١). وانظر ما نقله عنه الشيخ سليمان في « تيسير العزيز الحميد » (١/ ٢١٢).

(٥) « تفسير الجلالين » (٦٧). ومثله في (٥٦).

(٦) تفسيره (٦/ ١٥٧).

• وقال الشوكاني في تفسيرها: « لا معبود بحق إلا هو »[1].

• وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن: « معنى لا إله إلا الله: هو البراءة من عبادة كل ما سوى الله، وإخلاص العبادة بجميع أنواعها لله تعالى »[2].

• وقال الشيخ عبد الله أبا بطين: « فمعنى شهادة أن لا إله إلا الله: أن يقولها نافيا قلبه ولسانه الإلهية عن كل ما سواه، ومثبتها لمستحقها وهو الله المعبود الحق »[3].

• وقال الشيخ محمد رشيد رضا: في تفسيرها: « وإلهكم الحق الحقيق بالعبادة إله واحد، لا إله مستحق لها إلا هو؛ فلا تشركوا به أحدا »[4].

هذه طائفة من كلام العلماء في تفسير هذه الكلمة العظيمة، وإنما توسعت في هذه النقولات لعظيم الحاجة إلى تأكيد معناها وترسيخه بأنواع الأساليب، ودفعا لما قد يتوهمه بعض الناس من أن تقرير هذا المعنى مما انفرد به طائفة من العلماء؛ والواقع أنه التفسير الذي أطبق عليه جماهير الأمة من سائر المذاهب، ولولا خشية الإطالة لنقلت أضعاف هذه النقول.

---

(١) « فتح القدير » (١/ ٢٧١).

(٢) « الدرر السنية » (٢/ ٢٣٢). ونحوه في « فتح المجيد » (١/ ٢١٧).

(٣) المصدر السابق (٢/ ٣٠٥).

(٤) « تفسير المنار » (٢/ ٥٥).

ولم يكن هذا التفسير الذي توارد عليه علماء الإسلام عريا عن الدليل؛ بل هو قول مبني على أدلة راسخة رسوخ الجبال.

إن حقيقة شهادة التوحيد في كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام أوضح ما تكون معنى، وأظهر ما تكون دلالة.

وإن جمع النصوص التي دلت عليها بدلالة المطابقة والتضمن والالتزام شيء متعسر أو متعذر، وسأكتفي في هذا المقام بسوق بعض الأدلة التي دلت مطابقة على تفسيرها، ونطقت بحقيقتها ومعناها، وهي - عند التأمل - من الوضوح بحيث يُستغنى عن بسط الكلام والتعليق عليها.

من تلك الأدلة:

١ - قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴾ [الزُّخرُف:٢٦-٢٧]. فقد « عبر عنها الخليل بمعناها الذي وضعت له ودلت عليه؛ وهو البراءة من الشرك وإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له »[1].

فقوله سبحانه: ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ دالٌّ على: « لا إله »، وقوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ دالٌّ على: « إلا الله ».

(١) « قرة عيون الموحدين » (١٥).

ويؤيد هذا المعنى قوله عليه الصلاة والسلام: (من قال لا إله إلا الله، وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله)[(١)].

فهذا العطف في الجملة الثانية - (وكفر بما يعبد من دون الله) - هو من عطف الخاص بعد العام[(٢)]؛ فأفادت مزيد بيان وتوضيح لمعنى كلمة التوحيد[(٣)]؛ التي تدل على الكفر بما يعبد من دون الله تضمنا[(٤)]، وعلى إفراد الله بالعبادة تضمنا، وعلى الأمرين مطابقة.

ومن تأمل الآيات الآتية وجد الدلالة نفسها:

٢- قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ ﴾[الحج:٦٢].

٣- قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾[الإسراء:٢٣].

٤- قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ [الأنعام:١٩].

٥- قوله تعالى: ﴿ فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ﴾[يونس:١٠٤].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا « لا إله إلا الله » (١/ ٥٣) برقم (٢٣)، من حديث أبي مالك الأشجعي رضي الله عنه.

(٢) انظر: « التمهيد لشرح كتاب التوحيد » (٨٦).

(٣) انظر: « مصباح الظلام » (٢٧٣).

(٤) انظر المصدر السابق (٢٦٩).

٦- قوله تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة:٢٦٥].

٧- قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل:٣٦].

٨- قوله تعالى: ﴿أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [يوسف:٤٠].

٩- قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا﴾ [آل عمران:٦٤].

١٠- قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾ [الجن:٢٠].

١١- قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ﴾ [الرعد:٣٦].

١٢- قوله تعالى: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف:٥٩].

١٣- قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ﴾ [الزُّمَر:١٧].

١٤- قوله تعالى: ﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ (٧٥) أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ (٧٦) فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء:٧٥-٧٧].

هذه طائفة من الآيات، والمقام ليس مقام استيعاب، ولو تأمل المتأمل في كتاب الله لأضاف مثلها أو ضعفها. ويجمعها جميعا معنى واحد؛ ألا وهو الدلالة على الحق الذي تضمنته كلمة التوحيد؛ وهو: **التجريد والتفريد، أو النفي والإثبات؛ نفي الإلهية عما سوى الله، وإثباتها لله وحده.**

أما الأدلة من السنة؛ فمنها ما يأتي:

١ - قوله عليه الصلاة والسلام: (بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان)[١].

وفي رواية: (بني الإسلام على أن يُعبد الله ويُكفر بما دونه ...)[٢].

فهذه الرواية تبين معنى الشهادة الواردة في الحديث[٣]؛ فلا إله إلا الله تعني: أن يعبد الله ويكفر بما دونه.

وجاء في رواية ثالثة: (بني الإسلام على خمسة: على أن يوحد الله...)[٤].

فهذه الرواية توضح أن التوحيد هو مضمون الشهادة وحقيقتها ولبها.

---

(١) أخرجه البخاري في « صحيحه » في كتاب الإيمان، باب دعاؤكم إيمانكم (١/ ٤٩) - مع الفتح، برقم (٨)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان أركان الإسلام (١/ ٤٥) برقم (١٦) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) أخرجها مسلم في الموضع السابق.

(٣) ووجه الاستدلال بهذه الرواية إن كانت من كلام النبي عليه الصلاة والسلام بيّنٌ، وإن كانت روايةً بالمعنى من أحد الرواة؛ فتكون الأولى نقلا للفظ، والأخرى نقلا بالمعنى - كما يقوله أبو العباس القرطبي في « المفهم » (١/ ١٦٩) - فالاستدلال من جهة أن هذا فهم السلف لمعنى الشهادة، وهو فهم قد نقلوه في أصح الكتب، واشتهر ولم ينكر، فهو إجماع منهم، وحجة لا تنكر.

(٤) أخرجها مسلم في الموضع السابق أيضًا.

٢- أن النبي عليه الصلاة والسلام حينما بُعث ودعا الناس إلى شهادة التوحيد، وقال لهم: (قولوا لا إله إلا الله تفلحوا)[١] - فهم المشركون أن معنى هذه الكلمة: عبادة الله وحده، والبراءة من كل معبود سواه ومن عبادته؛ حيث كان جوابهم ما ذكر الله عنهم: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾[ص:٥][٢].

وهذا أبو سفيان رضي الله عنه حينما سأله هرقل: « ماذا يأمركم؟ » فأجابه [وكان إذ ذاك كافرا] بقوله: «يقول: اعبدوا الله وحده، ولا تشركوا به شيئا، واتركوا ما يقول آباؤكم »[٣].

فكان أول شيء بينه من دعوته - عليه الصلاة والسلام - هو معنى أول شيء دعا إليه؛ وهو شهادة التوحيد.

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن: «وهذا هو الذي فهمه أبو سفيان وغيره من قول رسول الله ﷺ لهم: (قولوا لا إله إلا الله تفلحوا)»[٤].

٣- لما سأل عمرو بن عبسة النبي عليه الصلاة والسلام عما أرسله الله به

(١) سبق تخريجه.

(٢) انظر ما جاء في سبب نزول الآية في: « تفسير ابن كثير » (٧/ ٥٣-٥٤)

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب بدء الوحي (١/ ٣٢)-مع الفتح، برقم (٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) « فتح المجيد » (١/ ٩٥).

قال: (بأن يوحد الله ولا يشرك به شيء، وكسر الأوثان، وصلة الرحم)[1] ومن المعلوم بالاضطرار من سيرة النبي عليه الصلاة والسلام أن أعظم ما دعا إليه هو هذه الكلمة العظيمة، ولم يكن ليغفل عن بيانها لمن سأله عن الشيء الذي أرسله الله به؛ فهذا الحديث قد تضمن - قطعا - ذكر معناها وبيان حقيقتها.

وخلاصة القول: أن «روح هذه الكلمة وسرها: إفراد الرب جل ثناؤه وتقدست أسماؤه وتبارك اسمه وتعالى جده ولا إله غيره بالمحبة والإجلال والتعظيم والخوف والرجاء وتوابع ذلك من التوكل والإنابه والرغبة والرهبة؛ فلا يُحب سواه وكل ما يُحب غيره فإنما يحب تبعا لمحبته وكونه وسيلة إلى زيادة محبته، ولا يخاف سواه، ولا يرجو سواه، ولا يتوكل إلا عليه، ولا يرغب إلا إليه، ولا يرهب إلا منه، ولا يحلف إلا باسمه، ولا ينذر إلا له، ولا يُتاب إلا إليه، ولا يطاع إلا أمره، ولا يُتحسَّب إلا به، ولا يستعان في الشدائد إلا به، ولا يُلتجأ إلا إليه، ولا يسجد إلا له، ولا يذبح إلا له وباسمه، ويجتمع ذلك في حرف واحد: وهو أن لا يُعبد إلا إياه بجميع أنواع العبادة؛ فهذا هو تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله »[2].

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين، باب إسلام عمرو بن عبسة (١/ ٥٦٩) برقم (٨٣٢)، وأحمد في « مسنده » (٢٨/ ٢٣٧) برقم (١٧٠١٩) واللفظ له.

(٢) « الداء والدواء » (٣٠١).

ولا يصح هذا إلا بالبراءة من كل معبود سوى الله وعبادته؛ « كما قال تعالى عن إمام الحنفاء المحبّين أنه قال لقومه: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء:٧٥-٧٧]. فلم يصح لخليل الله ﷺ هذه الخلة إلا بتحقيق هذه المعاداة؛ فإنه لا ولاء إلا لله، ولا ولاء لله إلا بالبراءة من كل معبود سواه »(١).

وبانتظام عقد هذين الأمرين - عبادة الله وحده، والبراءة مما سواه - تتحقق شهادة أن لا إله إلا الله.

غير أنها لا تنفع العبد ما لم يضم إليها الشهادة المقارنة لها؛ ألا وهي الشهادة لمحمد - عليه الصلاة والسلام - بأنه رسول الله؛ وهذا الأمر من الوضوح بمكان؛ فإذا كانت « لا إله إلا الله » تقتضي عبادة الله وحده؛ فأي عبادة لمن لم يؤمن برسالته عليه الصلاة والسلام؟!

قال ابن عبد الهادي: « ومن شرط ذلك أيضا اقترانها بشهادة أن محمدا رسول الله والتصديق به، فإن الاقتران بها مع جحد رسالة النبي ﷺ ونبوته غير نافع، وفاعل ذلك كافر لا حظ له في الإسلام »(٢).

وسيأتي بعون الله الكلام على شروط كلمة التوحيد، وأن منها القبول والانقياد، ولا يتأتيان إلا بتحقيق شهادة أن محمدا رسول الله.

---

(١) المصدر السابق (٣٠٠).

(٢) « مسألة في التوحيد » (٧٨).

والخلاصة: أن « كل من لم يؤمن بالنبي ﷺ وبما بعث به فليس بمؤمن، ولا ينفعه قول لا إله إلا الله؛ فإن بعض اليهود والنصارى يقولون: لا إله إلا الله؛ فدل ذلك على أن التوحيد أن يوحد الله بالعبودية، ومن وحد الله بالعبودية أطاع أمره واجتنب نهيه واتبع ما جاء به، واتبع رسوله؛ فإن طاعة الرسول من طاعة الله »[1].

ومن فهم هذه المسألة اتضح له سبب الاكتفاء في كثير من النصوص بالتنصيص على شهادة أن لا إله إلا الله فحسب؛ فإنها شاملة لشهادة أن محمدا رسول الله بالضرورة، والله أعلم.

ويحسن ختم هذا المبحث بذكر لطائف لغوية مستظرفة تتعلق بكلمة التوحيد، وهي من المُلح التي يوردها بعض أهل العلم في هذا المقام.

---

(١) المصدر السابق (٥٩).

فكلمة التوحيد تميزت بثلاثة أمور:

الأول: أن جميع حروفها جوفية، ويُتلمح من هذا ضرورة الإتيان بها من الجوف، وأن من قالها بلسانه دون أن يتحققها بقلبه فإنها لا تنفعه[1].

الثاني: ويُتلمح من كون حروفها جوفية - أيضا -: التنبيه على أنها كلمة الإخلاص؛ إذ يستطيع الموحد قولها دون تحريك شفتيه، وهذا أقرب إلى الإخلاص وأبعد عن الرياء[2].

الثالث: أنه ليس فيها حرف معجم، بل جميع حروفها متجردة عن النقط؛ ويُتلمح من هذا: التجرد عن كل معبود سوى الله تعالى[3].

---

(١) انظر: «معنى لا إله إلا الله» (٨٢) مع تعليق المحقق، و«مغني المحتاج» (١/ ٦)، و«فتح الحميد» (٢/ ٤٣٣)، وحاشية «كتاب التوحيد» (٣١).

(٢) انظر: حاشية «كتاب التوحيد» (٣١).

(٣) انظر: «معنى لا إله إلا الله» (٨٣) مع تعليق المحقق، و«مغني المحتاج» (١/ ٦)، و«فتح الحميد» (٢/ ٤٣٣)، وحاشية «كتاب التوحيد» (٣١).

المبحث الرابع: شروط «لا إله إلا الله»

إن كلمة التوحيد - كما سبق بيانه - ليس المقصود منها كلمة تنطق بها الألسنة فحسب؛ بل هي - على خفة لفظها - كلمة عظيمة، ذات معنى جليل، لا يجتني ثمارها إلا من وقرت في قلبه وظهرت في عمله.

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن: «أما النطق بها من غير معرفة بمعناها ولا يقين ولا عمل بما تقتضيه من نفي الشرك وإخلاص القول والعمل - قول القلب واللسان وعمل القلب والجوارح - فغير نافع بالإجماع»[1].

فشهادة التوحيد مقيدة بقيود ثقال؛ لا ينتفع قائلها إلا باستكمالها.

ولو كان القول المجرد لها كافيا لانتفع بها المنافقون؛ فإنهم قد نطقوا بها وأظهروها، ومع ذا هم في الدرك الأسفل من النار.

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله: «هذه الكلمة العظيمة لا يحصل رجحانها إلا في حق من أتى بقيودها التي قيدت بها في الكتاب والسنة، وقد ذكر سبحانه في سورة براءة وغيرها كثيرا ممن يقولها ولم ينفعهم قولها، كحال أهل الكتاب والمنافقين على كثرتهم وتنوعهم في نفاقهم، فلم تنفعهم مع ما قام بهم من ترك تلك القيود، فمنهم من يقولها جاهلا بما وضعت له وبما دلت عليه من نفي الشرك والبراءة منه، والصدق والإخلاص وغيرها، كعدم

---

(١) «فتح المجيد» (١/ ١٢).

القبول ممن دعا إليها علما وعملا، وترك الانقياد بالعمل بما تقتضيه؛ كحال أكثر من يقولها قديما وحديثا، ولكن في أواخر هذه الأمة أكثر. ومنهم من يمنعه من محبتها والعمل بها ما قام بقلبه من كبر أو هوى أو غير ذلك من الأسباب، وهي كثيرة... وأما أهل الإيمان الخُلّص فهم الذين أتوا بهذه الكلمة، واجتمعت لهم قيودها التي قُيدت بها؛ علما ويقينا وصدقا وإخلاصا ومحبة وقبولا وانقيادا، وعادوا فيه ووالوا فيه وأحبوا فيه وأبغضوا فيه »[1].

وهذه الحقوق والقيود قد تعارف كثير من أهل العلم على تسميتها بشروط لا إلا الله؛ ووجه إطلاق « الشروط » عليها: كونها شروطا للانتفاع بها في الدنيا والآخرة؛ فمتى انتفت هذه الشروط أو أحدها انتفى الانتفاع بها[2].

والتنصيص على أن للا إله إلا الله شروطا كثير مشتهر في كلام أهل العلم.

ومن كلام أهل العلم في هذا الباب:

قول الحسن البصري للفرزدق وهو يدفن امرأته:« ماذا أعددت لهذا اليوم؟ فقال الفرزدق: شهادة أن لا إله إلا الله منذ سبعين سنة، فقال الحسن: نعم العدة؛ فإن للا إله إلا الله شروطا؛ فإياك وقذف المحصنة »[3].

---

(١) « قرة عيون الموحدين » (١٦-١٧).

(٢) انظر: « معارج القبول » (١/ ٣٠٧)، « فتح المجيد » (١/ ١٩٠) « الدرر السنية » (٢/ ٢٤٤)، « قرة عيون الموحدين » (٣٢).

(٣) « كلمة الإخلاص » (١٤).

وفي رواية: « هذا العمود؛ فأين الطُّنُب؟ »[1].

وقيل له: إن ناسا يقولون: من قال لا إله إلا الله دخل الجنة؟ قال: « من قال لا إله إلا الله فأدى حقها وفرضها دخل الجنة »[2].

وقيل لوهب بن منبه: أليس مفتاح الجنة لا إله إلا الله؟ قال:« بلى، ولكن ليس مفتاح إلا له أسنان، فإن جئت بمفتاح له أسنان فُتح لك، وإلا لم يفتح لك »[3].

وقال ابن رجب - نقلًا عن طائفة من العلماء -: « إن كلمة التوحيد سبب مقتضٍ لدخول الجنة وللنجاة من النار، لكن له شروط »[4][5].

---

(١) « جامع العلوم والحكم » (١/ ٥٢٢).

والطُّنُب: « الحَبل تُشد به الخيمة ونحوها » « المصباح المنير » (٣٧٨).

(٢) أخرجه الأصبهاني في « الحجة في بيان المحجة » (٢/ ١٥٢). وانظر: « كلمة الإخلاص » (١٤).

(٣) علقه البخاري في صحيحه في أول كتاب الجنائز (٣/ ١٠٩) مع الفتح. وانظر: « كلمة الإخلاص » (١٤).

(٤) « جامع العلوم والحكم » (١/ ٥٢٢).

(٥) وأشير هنا إلى أن التنصيص على أن لـ « لا إله إلا الله » شروطا قضية ذائعة لا تختص بأهل السنة؛ فهذا عبد القاهر البغدادي الأشعري يقول: « إن الركن الأول من أركان الإسلام - كما ورد به الخبر - شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ولهذه الشهادة شروط... » أصول الدين (١٨٨).

وكلام أهل العلم في التنصيص على هذه الشروط - وقد يسمونها حقوقا ولوازم ونحو ذلك - يتراوح بين إجمال وتفصيل، وإطلاق وتعيين؛ مع اختلاف في التعبير والاصطلاح، واتفاق في المعنى والمؤدى غالبا؛ فمَن أجمل فإنه يذكر أن شروطها فعل الواجبات وترك المنهيات[1]، ومنهم من ينص على طرف منها على سبيل التمثيل، وطائفة أخرى كانت أكثر تدقيقا وتفصيلا؛ فعدّتها وحصرتها، وبينتها وأوضحتها، معتمدها في ذلك: استقراء نصوص الكتاب والسنة.

ومن أحسن من قام بذلك الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله؛ حيث حصر شروط لا إله إلا الله في سبعة؛ هي: العلم واليقين والقبول والانقياد والصدق والإخلاص والمحبة[2].

وقد تلقى جمع من أهل العلم بعده هذه الشروط بالقبول، واعتمدوها في مصنفاتهم وشروحهم[3].

---

(١) انظر: « جامع العلوم والحكم » (١/ ٥٢٢).

(٢) انظر: « فتح المجيد » (١/ ١٩٠)، و« قرة عيون الموحدين » (١٧/ ٣٢)، و« الدرر السنية » (٢/ ٢٤٤)، وقد نسبها إليه ابن سحمان في ديوانه (٣/ ٧١)، و« الدرر السنية » (٢/ ٣٥٩)، وابن قاسم في حاشية « كتاب التوحيد » (٢٩).

(٣) انظر: « معارج القبول » (١/ ٣٠٧)، و« الدرر السنية » (٢/ ٣٥٩)، و« حاشية كتاب التوحيد » (٢٩)، و« الدر النضيد » (٥١)، و« الكواشف الجلية عن معاني الواسطية » (٣٧-٥٣)، و« الشرح الموجز » (١٩)، و« الشهادتان » (٧٧-٧٨)، وقد نظمها الشيخ ابن سحمان في داليته (أشعة الأنوار) نظما رائقا. انظر ديوانه (٣/ ٧١).

وهذه الشروط عند التأمل حاصرة لأصول الأعمال القلبية والعملية التي لا قيام للتوحيد إلا بها، وما عداها - مما يشترط لصحته - عائد إليها، وهذه الشروط دالة عليها إما بالتضمن أو الالتزام[(١)][(٢)].

وقد جُمعت - تسهيلا لحفظها - في شيء من النظم، ومنه ما جاء في سلم الوصول:

وبشــــروط سـبعة قــد قيــدت ... وفي نصوص الشرـع حقـا وردت
فإنــــه لم ينتفـــع قائلهــــا ... بــالنطق إلا حيــث يســتكملها
العلـــمُ واليقـــينُ والقبـــولُ ... والانقيــادُ فــادرِ مــا أقــولُ
والصـدقُ والإخـلاصُ والمحبـة ... وفقـــك الله لمـــا أحبــــه[(٣)]

(١) انظر: مناهج العلماء في عد هذه الشروط والجمع والتأليف بين كلامهم ودلائل حصرها والرد على المخالفين، وبيان أنها أصول لغيرها في: « شروط شهادة أن لا إله إلا الله » (١٢٨-١٧٩).

(٢) وأنبه هنا إلى أن النطق بكلمة التوحيد لم يُذكر ضمن شروطها - كما يذكره بعضهم - لأن البحث ليس في إثبات أن شرط الدخول في الإسلام هو النطق بها؛ وإنما البحث فيما يُشترط للانتفاع بها؛ فالنطق جزء من الشهادة، والشيء لا يُشترط في نفسه. انظر بسط الكلام في هذه المسألة في: رسالة: « شروط لا إله إلا الله » (١٨١-١٩٦).

(٣) « السلم مع شرحه المعارج » (١/ ٣٠٧-٣٠٨).

وفي نظم بعضهم:

علمٌ يقينٌ وإخلاصٌ وصدقكَ معْ　　محبــةٍ وانقيــادٍ والقبــولِ لهــا
وزيدَ ثامنُها الكفـرانُ منـك بـما　　سوى الإلهِ من الأندادِ قد أُلها[1]

---

(١) ولا يعرف قائله. وممن أورده: الشيخ السلمان في « الكواشف الجلية » (٣٧)، والشيخ عبد العزيز بن باز كما في « مجموع فتاوى » ومقالات متنوعة (٣/ ٥٠)، والشيخ ابن قاسم في حاشيته على « كتاب التوحيد » (٢٩) دون البيت الثاني.
ويجدر التنبيه على أن الشيخ عبد الرحمن بن حسن جعلها في كتابه « قرة عيون الموحدين » (٣٢) ثمانية؛ بزيادة: الكفر بما يعبد من دون الله، وتابعه على هذا: الشيخ ابن قاسم في حاشيته على ثلاثة الأصول (٥٢)، والشيخ ابن باز في « مجموع فتاوى » ومقالات متنوعة (٣/ ٤)، وفي « مجموع فتاوى » الشيخ ابن باز (١/ ٢٢٤، ٢٣١) (جمع الطيار). وعليه فالشيخ عبد الرحمن بن حسن له قولان في عدها: سبعة وثمانية، وإلى كونها سبعة ذهب أكثر من عدها - كما سبق - وأرى أن هذا أقرب؛ وذلك لأن الكفر بما يعبد من دون الله داخل في معنى كلمة التوحيد ومن حقيقتها ومما تتضمنه - كما سبق بيانه — والشيء لا يشترط في نفسه، وعليه فهو أحد ركنيها وليس شرطا في الانتفاع بها، قال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن: « شهادة أن لا إله إلا الله دلت على الكفر بما عبد من دون الله تضمنا لا التزاما ». « مصباح الظلام » (٢٦٩). وقد يقال: إن إيراده ضمن الشروط فيه تسامح؛ نظرا لأهمية هذا الموضوع وكثرة الغفلة عنه، وليس المقام إلا مقام شرح وبسط وبيان لهذه الكلمة العظيمة، وما هذه التقسيمات والتفريعات المتعلقة بهذه الكلمة إلا تحقيق لهذا الغرض. ولا شك أن هذا غرض نبيل وقصد حسن؛ غير أنه يترتب عليه التكرار؛ فسيتكلم المتكلم على الكفر بما يعبد من دون الله ضمن الكلام على ركني الشهادة، وضمن الكلام على شروطها، وربما أوقع هذا لبسا للمتلقي. والأمر على كل حال يسير.

وبحسب قيام المؤمن بها وتحقيقه لها يعظم توحيده وإيمانه؛ فإن المسلمين مع اتفاقهم على الإتيان بشهادة التوحيد متفاوتون في تحقيقها تفاوتا عظيما[1].

قال ابن القيم: « ولهذا حرّم الله على النار من شهد أن لا إله إلا اللهُ حقيقة الشهادة، ومُحال أن يدخل النارَ من تحقّق بحقيقة هذه الشهادة وقام بها، كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ﴾ [المعارج: ٣٣]، فيكون قائما بشهادته في ظاهره وباطنه، في قلبه وقالبه؛ فإن من الناس من تكون شهادته ميتة، ومنهم من تكون نائمة فإذا نبِّهتِ انتبهت، ومنهم من تكون مضطجعة، ومنهم من تكون إلى القيام أقرب، وهي في القلب بمنزلة الروح في البدن، فروحٌ ميتة، وروحٌ مريضة إلى الموت أقرب، وروح إلى الحياة أقرب، وروحٌ صحيحة قائمةٌ بمصالح البدن »[2].

وعليه فإن التوحيد يزول، وهذه الشهادة تنتقض ويتلاشى الانتفاع بها متى زال أصل شرط منها، ويضعف الانتقاع بها متى ضعف الإتيان بها، فإن لهذه الشروط أصلا لا يتحقق التوحيد إلا به، وكمالا يكمل التوحيد بتمامه، ويضعف بزواله.

(١) انظر: « قرة عيون الموحدين » (٣٢).

(٢) « الداء والدواء » (٣٠٢).

وهذا أوان الشروع في ذكر الشروط مع التعليق عليها.

• الشرط الأول: العلم المنافي للجهل

قال الشيخ ابن سحمان:

فأولها العلم المنافي لضده — من الجهل، إن الجهل ليس بمسعدِ
فلو كان ذا علم كثير وجاهلا — بمدلولها يومًا، فبالجهل يرتدي[(1)]

والمراد بهذا الشرط: العلم بمعناها - الذي سبق بيانه - من النفي والإثبات.

ولا شك أن هذا العلم أعظم العلوم وأشرفها، وقد أمر سبحانه عباده به فقال: ﴿فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [هود:١٤].

قال البغوي: «أي: فاعلموا أن لا إله إلا هو»[(2)].

كما أمر الله سبحانه به نبينا محمدا عليه الصلاة والسلام - والأمر لأمته أيضًا - فقال سبحانه: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد:١٩]. قال ابن جرير: «يقول تعالى ذكره لنبيه محمدﷺ: فاعلم يا محمد أنه لا معبود تنبغي أو تصلح

---

(١) ديوانه «عقود الجواهر» (٣/ ١٧٥).

(٢) «تفسير البغوي» (٤/ ١٦٥).

له الألوهية ويجوز لك وللخلق عبادته إلا الله الذي هو خالق الخلق ومالك كل شيء، يدين له بالربوبية كل ما دونه »[1].

وهذا الشرط بدهي؛ لأن الإيمان بالشهادة والانقياد لها لا يتحقق إلا بعد العلم بمعناها، والجاهل بذلك لا تنفعه؛ لجهله بما وضعت له الوضع العربي الذي أريد منها؛ من نفي الشرك وإخلاص العبادة لله وحده[2]؛ « فكيف ينفي ما نفت ويثبت ما أثبتت وهو لا يعلم شيئًا من ذلك، أم كيف يعمل بمقتضى ما لا يعلمه! »[3].

وقد تقدم أن الشهادة لا تكون شهادة إلا بالعلم بالمشهود به.

قال المعلمي: « وقد دل الكتاب والسنة والإجماع والمعقول على أنه لا يكفي النطق بها بدون معرفة معناها »[4].

ومن الأدلة على هذا الشرط قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزُّخرُف:٨٦].

---

(١) « تفسير الطبري » (٢٦/ ٥٣).

(٢) « قرة عيون الموحدين » (١٥).

(٣) « مفتاح دار السلام بتحقيق شهادتي الإسلام » (٤٥٢) - مجلة الدراسات العقدية، العدد الرابع.

(٤) « رفع الاشتباه » (٣٢).

قال الطبري: « وشهادته بالحق هو إقراره بتوحيد الله؛ يعني بذلك، إلا من آمن [بالله][1] وهم يعلمون حقيقة التوحيد »[2].

وقال البغوي: « وأراد بشهادة الحق قول لا إله إلا الله - كلمة التوحيد - وهم يعلمون بقلوبهم ما شهدوا به بألسنتهم »[3].

وقال الآلوسي: « إلا من شهد بالحق الذي هو التوحيد، « وهم يعلمون» أي: يعلمونه؛ الجملة في موضع حال، وقيد بها لأن الشهادة عن غير علم بالمشهود به لا يعول عليها »[4].

ومن الأدلة أيضا قوله عليه الصلاة والسلام: (من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة)[5].

فهذا الحديث صريح في أن من نطق بكلمة التوحيد مع علمه بها[6] فهو ناج عند الله.

(١) في الأصل: « الله ».

(٢) « تفسير الطبري » (٢٥/ ١٠٥).

(٣) « تفسير البغوي » (٧/ ٢٢٤).

(٤) « روح المعاني » (٢٥/ ١٤٨).

(٥) سبق تخريجه.

(٦) قال الشيخ ابن عثيمين في الحديث: « أي مع نطقه بها؛ فيقيد هذا الحديث بما سبق من قول لا إله إلا الله، أما مجرد العلم بدون أن ينطق بها اللسان فإنه لا يكفي؛ بل لا بد من القول والعمل » « التعليق على صحيح مسلم » (١٦٩).

• **الشرط الثاني: اليقين المنافي للشك**

واليقين هو « العلم الراسخ في القلب الثابت فيه »[(١)]، بحيث لا يكون « عرضة للريب والشك والموانع »[(٢)]، و« لا يوصف به إلا من اطمأن قلبه علما وعملا »[(٣)]؛ فهو إذن أعلى درجات التصديق.

والمقصود بهذا الشرط، أن يوقن القائل بمعناها يقينا يزول معه الشك والريب[(٤)].

قال الشيخ حافظ الحكمي: « والثاني: اليقين المنافي للشك؛ بأن يكون قائلها مستيقنا بمدلول هذه الكلمة يقينا جازما؛ فإن الإيمان لا يغني فيه إلا علم اليقين لا علم الظن، فكيف إذا دخله الشك »[(٥)].

وقال ابن عبد الهادي: « فإن من شروط كلمة الإخلاص باللسان: التصديق بذلك وتحقيقه بالقلب وإلا فهو منافق »[(٦)].

وقد دل على اشتراطه قوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟﴾ [الحُجُرات:١٥]. فدلت الآية على أن الشك إذا تعلق بأصل

---

(١) « المفهم » (١/ ٢٠٦).

(٢) « تيسير اللطيف المنان » (١٩٩).

(٣) « مجموع الفتاوى » لشيخ الإسلام (٧/ ٢٨١).

(٤) « الدرر السنية » (٢/ ٢٥٩).

(٥) « معارج القبول » (١/ ٣٠٨).

(٦) « مسألة في التوحيد» (٧٧-٧٨).

الإيمان فإنه يتنافى والإيمان، وأنه لا بد في الإيمان الصادق من استيقان القلب[1] بخلاف حال أهل الشك والريب الذين قال الله عنهم: ﴿وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ [التوبة:٤٥][2].

وعليه؛ « فلا إيمان لمن قالها شاكًّا مرتابًا، ولو قالها بعدد الأنفاس، ولو صرخ بها حتى يسمع جميع الناس »[3].

كما دل على هذا الشرط عدة أحاديث نبوية؛ منها قوله عليه الصلاة والسلام: (أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما إلا دخل الجنة)[4].

وقوله عليه الصلاة والسلام: (فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنا بها قلبه فبشره بالجنة)[5].

---

(١) انظر: « المفهم » (١/ ٢٠٤).

(٢) « معارج القبول » (١/ ٣٠٨).

(٣) « مفتاح دار السلام بتحقيق شهادتي الإسلام » (٤٥٢) - مجلة الدراسات العقدية، العدد الرابع.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) سبق تخريجه.

والمعنى في الحديثين واحد؛ « فنفي الشك يفيد ثبوت اليقين، وثبوت اليقين يفيد نفي الشك »[1].

قال الشيخ حافظ: « فاشترط في دخول قائلها الجنة أن يكون مستيقنا بها قلبه غبر شاك فيها؛ وإذا انتفى الشرط انتفى المشروط »[2].

قال ابن سحمان:

ومن شك فليبكي على رفض دينه ويعلم أن قد جاء يوما بموئد

ويعلم أن الشك ينفي يقينها فلا بد فيها باليقين المؤيد

بها قلبه مستيقنا جاء ذكره عن السيد المعصوم أكمل مرشد

ولا تنفع المرء الشهادة فاعلمن إذا لم يكن مستيقنا ذا تجرد[3]

(١) « مفتاح دار السلام بتحقيق شهادتي الإسلام » (٤٥٣) - مجلة الدراسات العقدية، العدد الرابع.

(٢) « معارج القبول » (١/ ٣٠٩).

(٣) ديوانه « عقود الجواهر » (٣/ ١٧٧).

• الشرط الثالث: الإخلاص المنافي للشرك

وهذا الشرط أصل الشروط وأهمها والجامع لها[1].

والمقصود باشتراط الإخلاص في هذا المقام ليس إخلاص العبادة لله ﷻ وإفراده بها ونفي الشرك؛ فهذا ما دلت عليه كلمة التوحيد مطابقة[2]؛ وإنما المقصود الإخلاص في قول لا إله إلا الله على وجه الخصوص، فلا يقصد بقولها إلا وجه الله دون أدنى شائبة من الشرك، ولا شك أن هذا يستتبع ويستلزم إخلاص العبادة كلها لله ﷻ.

وقد دل على هذا الشرط قوله عليه الصلاة والسلام : (أسعد الناس بشفاعتي من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه، أو نفسه)[3].

وقوله عليه الصلاة والسلام : (لن يوافي عبد يوم القيامة لا إله إلا الله يبتغي بها وجه الله إلا حرم الله عليه النار)[4]، وفي رواية: (فإن الله حرم على النار من قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله)[5].

---

(١) انظر: « شروط شهادة أن لا إله إلا الله » (٥٣٤).

(٢) « قرة عيون الموحدين » (١٥).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) سبق تخريجه.

• **الشرط الرابع: الصدق المنافي للكذب**

والمقصود بهذا الشرط أن يكون صادقا في قولها؛ بحيث يواطئ قلبُه لسانَه[1].

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن: « الرابع: الصدق المنافي للنفاق؛ لأن المنافقين يقولونها، لكن لم يطابق ما قالوه لما يعتقدونه؛ فصار قولهم كذبا لمخالفة الظاهر للباطن »[2].

وقال الشيخ ابن سحمان:

وسابعها: الصدق المنافي لضـده   من الكذب الداعي إلى كل مفسد[3]

ويدل على هذا الشرط قوله عليه الصلاة والسلام: (ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صدقا من قلبه إلا حرمه الله على النار)[4].

قال الشيخ حافظ الحكمي: « فاشترط في إنجاء من قال هذه الكلمة من النار أن يقولها صدقا من قلبه؛ فلا ينفعه مجرد التلفظ بدون مواطأة قلب »[5].

---

(١) « معارج القبول » (١/ ٣١٠).

(٢) « الدرر السنية » (٢/ ٣٥٩) نقله عنه الشيخ ابن سحمان. وانظر: « قرة عيون الموحدين » (١٥).

(٣) ديوانه (٣/ ١٧٧).

(٤) سبق تخريجه.

(٥) « المعارج » (١/ ٣٠١١).

كما يدل على هذا الشرط الأدلة التي فيها بيان حال المنافقين وكفرهم لتكذيبهم.

ومنها قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة:١٠] الآيات.

ومنها قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون:١].

ومنها قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ﴾ [الفتح:١١].

وقد يقال: ما الفرق بين الصدق والإخلاص، وما الفرق بين الصدق واليقين؟.

والجواب: أما عن الصدق والإخلاص فلا ينكر أن بين الشرطين تقاربا، بل تلازما؛ غير أن الإخلاص ينافي الشرك، والصدق ينافي الكذب.

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن: « والصدق والإخلاص متلازمان لا يوجد أحدهما بدون الآخر[1]، فإن لم يكن مخلصا فهو مشرك ومن لم يكن صادقا فهو منافق... من قالها غير صادق في قوله فإنها لا تنفعه، لمخالفة القلب اللسان؛ كحال المنافقين الذين يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، وكذلك حال المشرك؛ فلا تقبل من مشرك؛ لمنافاة الشرك للإخلاص »[2].

(١) أي عند الموحد.

(٢) « قرة عيون الموحدين » (١٤-١٥).

أما عن الصدق واليقين: فأحدهما فرع عن الآخر؛ فمن استيقن قلبُه صدق في قولها - أي طابق لسانه قلبَه -.

والصدق يقابله الكذب، واليقين يقابله التكذيب والشك، وكلاهما من حال أهل النفاق، عياذا بالله.

• الشرط الخامس: المحبة المنافية لعدمها

والمقصود بهذا الشرط محبة ما دلت عليه من الإخلاص لله ونبذ الشرك[1].

يقول الشيخ حافظ الحكمي: « المحبة لهذه الكلمة ولما اقتضته ودلت عليه، ولأهلها العاملين بها الملتزمين لشروطها، وبغض ما ناقض ذلك »[2].

وقال الشيخ ابن سحمان:

ورابعها شرط المحبة فلتكن   محبا لما دلت عليه من الهدِ
وإخلاص أنواع العبادة كلها   كذا النفي للشرك المفند والدد[3]

وأصل هذه المحبة وأساسها - دون شك - محبة الله سبحانه ومحبة رسوله عليه الصلاة والسلام. فإن هذه المحبة أصل التوحيد وروحه[4] وعمدة الإسلام وعموده، وعليه فمن لا محبة له لا توحيد له ولا إسلام البتة.

قال ابن القيم عن محبة الله سبحانه: « هي أصل عقد الإيمان الذي لا يدخل فيه الداخل إلا بها ولا فلاح للعبد ولا نجاة له من عذاب الله إلا

---

(١) مجموع مقالات وفتاوى متنوعة (٣/ ٤٩).

(٢) « معارج القبول » (١/ ٣١٢).

(٣) ديوانه (٣/ ١٧٥).

(٤) « مدارج السالكين » (٣/ ٢٧)، « القول السديد » (٣٣)، ضمن مجموع مؤلفات الشيخ ابن سعدي - الجزء الثالث.

بها... ومن لم يتحقق بها علما وحالا وعملا لم يتحقق بشهادة أن لا إله إلا الله؛ فإنها سرها وحقيقتها ومعناها »[1].

والدليل على ذلك جملة من النصوص؛ منها قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾[البقرة:١٦٥].

وقوله عليه الصلاة والسلام: (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين)[2].

ومن أحب الله ورسوله عليه الصلاة والسلام أحب دين الله وما جاء به رسوله عليه الصلاة والسلام ولا بد.

قال الشيخ ابن سحمان:

ومن كان ذا حب لمولاه إنما ... محبته للدين شرط مقيد

ومن لا فلا، والحب لله إنما ... يتم بحب الدين دين محمد[3]

ويتفرع عن هذه المحبة محبة المؤمنين والولاء لهم، وبغض الكافرين والبراءة منهم.

---

(١) « طريق الهجرتين » (٥٧٧).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب حب الرسول ﷺ من الإيمان (١/ ٥٨) مع الفتح - برقم (١٥)، مسلم: كتاب الإيمان، باب وجوب محبة رسول الله ﷺ (١/ ٦٧) برقم (٤٤) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) ديوانه (٣/ ١٧٦).

قال الشيخ ابن سحمان:

وأحبب لحب الله من كان مؤمنا   وأبغض لبغض الله أهل التمرد
وما الدين إلا الحب والبغض والولا   كذاك البرا من كل غاوٍ ومعتد[1]

ومن شواهد هذا في كتاب الله: قوله تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾ [الممتحنة: ٤][2].

---

(١) ديوانه (٣/ ١٧٦).

(٢) انظر: «تيسير العزيز الحميد» (٢/ ٩٦٢).

- **الشرط السادس: القبول المنافي للرد**

والمقصود بهذا الشرط في كلمة التوحيد: « أن يقبل ما دلت عليه من إخلاص العبادة لله وحده، وترك عبادة ما سواه، وأن يلتزم بذلك ويرضى به »[1].

وتوضيح هذا الشرط: أن كلمة التوحيد لا تنفع صاحبها إذا نطق بها عالمًا بمعناها، مستيقنًا بمقتضاها، مصدقًا بها، حتى يقبلها ويلتزم العمل بها.

وبيان ذلك أن النطق بالشهادة الذي ينفع صاحبه هو الذي يكون بمثابة العهد والميثاق والبيعة على قبول الإسلام والرضا به دينًا والتزام العمل به[2].

فإن من الناس من يوقن بصحة مدلول الشهادة، ويصدق بأن الإسلام هو الدين الحق لكنه يأبى الدخول فيه لكبر أو خوف أو غرض دنيوي أو لغير ذلك من الأسباب؛ كحال أبي طالب وكثير من اليهود وكثير من المستشرقين في العصر الحاضر؛ فإن الواحد من هؤلاء لا ينفعه هذا التصديق ما لم يلتزم أحكام الإسلام؛ بل لو أضاف إلى هذا التصديق ترديد شهادة التوحيد إعجابًا بها - مثلًا - وليس إعلانًا للدخول في الإسلام وقبوله؛ فإنه لا ينفعه.

والمقصود أن « من شرط الاعتداد بكلمة الشهادة أن تكون على سبيل الالتزام »[3].

---

(١) « مجموع فتاوى ابن باز » (١/ ٢٣٢) - جمع الطيار.

(٢) انظر: « رفع الاشتباه » (٣٦، ٤٠).

(٣) « رفع الاشتباه » (٤١).

قال ابن القيم: « إقرار الكاهن الكتابي لرسول الله ﷺ بأنه نبي لا يدخله في الإسلام ما لم يلتزم طاعته ومتابعته، فإذا تمسك بدينه بعد هذا الإقرار لا يكون ردة منه ... ونظير ذلك شهادة عمه أبي طالب له بأنه صادق وأن دينه من خير أديان البرية دينا، ولم تدخله هذه الشهادة في الإسلام، ومن تأمل ما في السير والأخبار الثابتة من شهادة كثير من أهل الكتاب والمشركين له ﷺ بالرسالة وأنه صادق فلم تدخلهم هذه الشهادة في الإسلام - علم أن الإسلام أمرٌ وراء ذلك، وأنه ليس هو المعرفة فقط، ولا المعرفة والإقرار فقط؛ بل المعرفة والإقرار والانقياد والتزام طاعته ودينه ظاهرا وباطنا »[1].

ولا يُظن أن اشتراط القبول مؤقت بابتداء الدخول في الإسلام فحسب؛ بل لا تنفعه إلا بالتزام « أن يعمل طول عمره بمضمون كلمة التوحيد ولا يخالفها »[2].

وقبول كلمة التوحيد يقتضي بالضرورة أن يقبل الإسلام كله - أخبارًا وأحكامًا - فيقابل الأخبار - قرآنًا وسنةً - بالتصديق؛ فلو رد منها حرفًا واحدًا فلم يقبله فقد انتقض شرط القبول؛ فانتقضت شهادة التوحيد في حقه.

---

(١) « زاد المعاد » (٣/ ٦٣٨-٦٣٩).

(٢) « رفع الاشتباه » (٣٦).

ويقابل الأحكام بالالتزام؛ فيعتقد أنه ملزم ومخاطب ومكلف بها، ولا يسعه الخروج عنها؛ فلو جحد شيئًا منها[1]، أو اعتقد أنه غير مخاطب بشيء من أحكامها، وأنه يسعه الخروج عن شريعة النبي عليه الصلاة والسلام في شيء ما - وإن قل - فقد انتقض شرط القبول في حقه؛ فانتقضت شهادة التوحيد.

---

(١) انظر: «مسألة في التوحيد» (٨٠).

- **الشرط السابع: الانقياد المنافي للترك.**

والمقصود باشتراط هذا الشرط في كلمة التوحيد: « الانقياد لما دلت عليه من المعنى، [ومعناه][1]: أن يعبد الله وحده وينقاد لشريعته ويؤمن بها ويعتقد أنها الحق؛ فإن قالها ولم يعبد الله وحده ولم ينقد لشريعته، بل استكبر عن ذلك فإنه لا يكون مسلمًا، كإبليس وأمثاله »[2].

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن: « السادس: الانقياد المنافي [للترك][3]؛ لأن من الناس من يقولها وهو يعرف معناها، لكنه لا ينقاد للإتيان بحقوقها ولوازمها؛ من الولاء والبراء والعمل بشرائع الإسلام »[4].

وتوضيح هذا الشرط: أن من قالها عالمًا بمعناها صادقًا من قلبه مريدًا بها وجه الله ملتزمًا قابلًا؛ بقي عليه أن ينقاد بالفعل لما التزم به؛ فإذا لم يخلص العبادة لله ويتبرأ من الشرك؛ فهذا لا تنفعه « لا إله إلا الله ».

وهؤلاء كثير؛ تركوا الانقياد بالعمل بما تقتضيه - من الإخلاص ونفي الشرك - لكبر أو هوى أو غير ذلك[5].

---

(١) في الأصل: « معناها ».

(٢) « مجموع فتاوى الشيخ ابن باز » (١/ ٢٣٢) - جمع الطيار.

(٣) في الأصل: « الشرك ».

(٤) « الدرر السنية » (٢/ ٣٦٠٥٩) نقله عنه الشيخ ابن سحمان.

(٥) انظر: « قرة عيون الموحدين » (١٧).

وقد دل على هذا الشرط قوله تعالى: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ [لقمان:٢٢].

والعروة الوثقى - كما تقدم - هي « لا إله إلا الله ».

قال الشيخ حافظ الحكمي: « ومعنى يسلم وجهه أي ينقاد وهو محسن موحد؛ ومن لم يسلم وجهه إلى الله ولم يكُ محسنًا فإنه لم يستمسك بالعروة الوثقى »[١].

وعليه فهذا الشرط ينتقض في حق من أتى بأحد أمرين:

الأول: الوقوع في الشرك؛ فإن من أشرك لم يحصل منه الانقياد لما دلت عليه كلمة التوحيد.

الثاني: أن لا ينقاد جملةً لشرع الله؛ فلا يعمل صالحًا بقلبه وجوارحه قاصدًا وجه الله؛ فإن من ترك العمل بالشريعة بالكلية فقد وقع في التولي وهو ضد الانقياد.

وهذه القضية من الوضوح بمكان؛ فإن التوحيد - الذي هو مضمون الشهادة - هو عبادة الله وحده؛ فمن لم يعمل كيف سيوحد؟

فهذا هو التولي الكفري المنافي للانقياد، قال تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور:٤٧].

---

(١) « معارج القبول » (١/ ٣١٠).

قال شيخ الإسلام: « (التولي) هو التولي عن الطاعة... فنفى الإيمان عمن تولى عن العمل وإن كان قد أتى بالقول »[1].

وقال رحمه الله: « فإن حقيقة الدين هو الطاعة والانقياد، وذلك إنما يتم بالفعل لا بالقول فقط؛ فمن لم يفعل لله شيئًا فما دان لله دينًا، ومن لا دين له فهو كافر »[2].

ويشهد لهذا قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [النساء:٦٤]. فالدين لا بد فيه من طاعة وعمل وانقياد.

والخلاصة أن الانقياد بالعمل بشرع الله في الجملة من شروط الانتفاع بكلمة التوحيد، ولا يتنافى هذا مع حصول التقصير بترك بعض الواجبات وإنما الحديث يتعلق بالترك الكامل.

قال ابن تيمية: « وقد تبين أن الدين لا بد فيه من قول وعمل، وأنه يمتنع أن يكون الرجل مؤمنًا بالله ورسوله بقلبه أو بقلبه ولسانه ولم يؤدِ واجبًا ظاهرًا؛ لا صلاة ولا زكاة ولا صيامًا ولا غير ذلك من الواجبات... فلا يكون الرجل مؤمنًا بالله ورسوله محمد ﷺ مع عدم شيء من الواجبات التي يختص بإيجابها محمد ﷺ »[3].

---

(١) « مجموع الفتاوى » (٧/ ١٤٢).

(٢) « شرح العمدة » - كتاب الصلاة (٢/ ٨٦).

(٣) « الإيمان الأوسط » (٥٧٧).

وإذا اتضح ما سبق فقد تجلى الفرق بين القبول والانقياد المشترطين في كلمة الإخلاص؛ فالقبول أصلٌ ثمرته الانقياد.

وذلك أن القبول هو الالتزام بالتوحيد واعتقاد الانضواء تحت لواء الدين والانصياع لأحكامه واعتقاد التكليف بها والعهد والميثاق على الدخول في الإسلام والثبات عليه مع التسليم وترك الاعتراض، فهذا ما يحتويه شرط القبول.

وأما الانقياد فأن يقوم - بالفعل - بما التزم به من الإخلاص لله ونفي الشرك والعمل بشرع الله في الجملة[1]. والله أعلم.

---

(١) على أنه لا يجحد أن بين المصطلحين تقاربًا أدى إلى حصول نوع اشتباه عند بعض النـاس في التفريق بينهما، كما أن بعض العلماء قد يستعمل أحد المصطلحين مريدًا به معنى الآخـر، أو ما يشمل المعنيين. ولعله بالتفصيل السابق يزول الإشكال والله أعلم.

المبحث الخامس: أهم ما تثبته وتنفيه « لا إله إلا الله »

تقدم أن معنى كلمة التوحيد: نفي وإثبات.

وتقدم أنها تثبت في معناها - بالمطابقة واللزوم - الإسلام كله؛ عقيدة وشريعة، أخلاقا ومعاملة.

كما أنها تنفي الشرك بغير الله والتعلق بسواه، وكذا تنفي ذرائع ذلك ووسائله من السيئات والمعاصي؛ صغارا وكبارا.

وقد فصل الإمام محمد بن عبد الوهاب أهم ما تثبته وتنفيه هذه الكلمة العظيمة؛ وسأسوق كلامه بتمامه لأهميته وعظيم الحاجة إليه، وبه يتبين معنى كلمة التوحيد أكثر، وتتجلى حقيقتها بصورة أوضح.

قال رحمه الله: « اعلم رحمك الله أن معنى « لا إله إلا الله » نفي واثبات؛ **تنفي أربعة أنواع وتثبت أربعة أنواع.**

المنفي: الآلهة، والطواغيت، والأنداد، والأرباب.

فالإله: ما قصدته بشيء من جلب خير أو دفع ضر؛ فأنت متخذه إلها.

والطواغيت: من عُبد وهو راضٍ، أو ترشّح للعبادة.

والأنداد: ما جذبك عن دين الإسلام من أهل أو مسكن أو عشيرة أو مال فهو ند؛ لقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾[البقرة:١٦٥].

والأرباب: من أفتاك بمخالفة الحق وأطعته مصدقًا؛ لقوله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة:٣١].

وتثبت أربعة أنواع:

١ - **القصد**: كونك ما تقصد إلا الله.

٢ - **والتعظيم والمحبة**: لقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِ ﴾ [البقرة:١٦٥].

٣ - **والخوف والرجاء**: لقوله تعالى: ﴿ وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يَمۡسَسۡكَ بِخَيۡرٖ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ [الأنعام:١٧].

٤ - **والبراءة من الشرك وأهله**: كما فعل إبراهيم؛ كسر الأصنام، وتبرأ من عُبادها، قال الله تعالى: ﴿ قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ ﴾ [الممتحنة:٤]. هذا ما تنفيه وتثبته كلمة لا إله إلا الله »[1].

ويلاحظ في آية الممتحنة السابقة أن إبراهيم عليه السلام ومن معه من المؤمنين قدموا البراءة من المشركين على البراءة من معبوداتهم، والبراءة جاء تفسيرها في الآية: ﴿ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ ﴾ [الممتحنة:٤].

---

(١) « الدرر السنية » (٣/ ١٢٢). والأمر الرابع: (البراءة...) ساقط من الدرر، وهو في مؤلفات الشيخ - القسم الخامس، رقم١٩ - (١٢٤) وانظر: « عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية » (١/ ٥٨٠).

فهم أعداء لله وللمؤمنين؛ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الممتحنة:١].

فهذا المتعين على أهل الإيمان: **البغض في الله للشرك وأهله، والبراءة منهم.**

أما **معاملة** المشركين والكفار عموما ففيها تفصيل؛ فإن الكافر على ضربين:

محارب: فليس له إلا السيف، أو المهادنة في حال الضعف، بحسب الحال وما يقدره ولي الأمر المسلم.

غير محارب: فلا حرج في معاملته معاملة حسنة، قال تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة:٨].

المبحث السادس: ما ينقض شهادة أن لا إله إلا الله

قد تقرر في الشريعة أنه إذا دخل العبد في الإسلام - بأن أتى بشهادة التوحيد وحقق شروطها - فإنه لا ينفعه ذلك حتى يكف عما ينقض توحيده ويذهب بإيمانه؛ فإنه قد أجمع العلماء على أنه إذا ثبت إسلام المرء ثم ارتكب مكفرًا من المكفرات فإن إيمانه ينتقض ويزول بعد وجوده، ويصير مرتدًّا[1] - عياذًا بالله - ولا ينفعه ما قام أو يقوم به من حسنات إلا أن يتوب، كما قال تعالى: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ ﴾ [النحل: ١٠٦]. فلم يستثن من وصف الكفر بعد الإيمان إلا المكره.

قال الشيخ عبد الله أبابطين رحمه الله: « المرتد هو الذي يكفر بعد إسلامه بكلام أو اعتقاد أو فعل أو شك وهو قبل ذلك يتلفظ بالشهادتين ويصلي ويصوم؛ فإذا أتى بشيء مما ذكروه صار مرتدًّا مع كونه يتكلم بالشهادتين ويصلي ويصوم، ولا يمنعه تكلمه بالشهادتين وصلاته وصومه عن الحكم عليه بالردة، وهذا ظاهر بالأدلة من الكتاب والسنة والإجماع »[2].

---

(١) انظر: « الدرر السنية » (١٠/ ١٣٧-١٣٨).

(٢) « مجموعة الرسائل والمسائل النجدية » (١/ ٦٥٩).

وهذه المكفرات هي المعروفة عند العلماء بنواقض الإيمان أو نواقض الإسلام.

وضابطها: كل ما قام الدليل الشرعي على أنه يوقع صاحبه في الشرك أو الكفر الأكبر.

وتتنوع إلى قول أو فعل أو اعتقاد أو شك[1].

وأما أفرادها فكثيرة جدًّا[2]، نص عليها العلماء في كتبهم، وأشهرها النواقض العشرة التي ذكرها الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله.

وهذه النواقض هي:

١ - الشرك بالله تعالى، ومنه الذبح لغيره سبحانه.

٢ - من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم ويتوكل عليهم.

٣- عدم تكفير المشركين أو الشك في كفرهم أو تصحيح مذهبهم.

٤ - اعتقاد أن غير هدي النبي ﷺ أكمل من هديه، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه.

٥ - بغض شيء مما جاء به النبي ﷺ.

٦ - الاستهزاء بشيء من دين الله أو ثوابه أو عقابه.

٧- السحر

---

(١) انظر: المصدر السابق، و« منار السبيل » (٢/ ٤٠٤ - ٤٠٥)، و« تحفة الإخوان » (٢٧).

(٢) ذكر بعض العلماء أنها قريب من أربعمائة ناقض. انظر: « الدرر السنية » (٢/ ٣٦٠).

٨- مظاهرة المشركين، ومعاونتهم على المسلمين.

٩- اعتقاد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة النبي ﷺ.

١٠- الإعراض عن دين الله؛ لا يتعلمه ولا يعمل به[١].

ولا شك أن أكثر هذه النواقض انتشارا ووقوعا: الشرك بالله سبحانه؛ وهو صرف شيء من العبادة لغير الله؛ دعاءً أو ذبحًا أو سجودًا أو توكلا أو غير ذلك من أنواع العبادة.

وإن قلب المؤمن ليتفطر ألما مما يقع فيه كثير من المنتسبين إلى الإسلام من أنواع الشرك، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا!

وفي الأسطر الآتية ذكر نبذة في خطره، عسى أن يكون فيها تنبيه للغافل حتى يحذر.

إن من المعلوم بالاضطرار من دين الله تعالى أن الشرك أخطر الأمور وأقبحها، ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج:٣١].

ويظهر قبحه وخطره من خلال وجهين:

١- كونه أعظم الذنوب.

٢- كون عقوبته أعظم العقوبات.

---

(١) انظر: «الدرر السنية» (٢/ ٣٦٠-٣٦١).

أما كونه **أعظم الذنوب** فيتضح ذلك من خلال أمور ثلاثة:

أ- أن مضمون الشرك تنقيص رب العالمين، وصرف خالص حقه لغيره، وعَدْلُ غيره به، قال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام:١] أي يساوون غيره به.

ب- أنه مناقض للغاية من خلق الخلق وأمرهم؛ ألا وهي التوحيد، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦].

ج- أنه يتضمن تشبيه المخلوق بالخالق، وهو تشبيه بالغ الظلم، ظاهر البطلان؛ لأنه تشبيهٌ للعاجز الفقير بالقادر الغني؛ وهذا غاية القبح.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:١٣]، وقال: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٤٨]، وقال: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا بَعِيدًا﴾ [النساء:١١٦].

وسئل النبي عليه الصلاة والسلام: أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: «أن تجعل لله ندًا وهو خلقك»(١).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢] (٨/ ١٦٣) مع الفتح، برقم (٤٤٧٧)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب كون الشرك أعظم الذنوب (١/ ٩٠) برقم (٨٦) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

وأما كون عقوبته **أعظم العقوبات** فيظهر من خلال ثلاثة أمور:

أ- أنه ذنب لا يغفره الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء:١١٦] اللهم إلا إذا تاب صاحبه فإنه يغفر له؛ قال تعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ ﴾ [الأنفال:٣٨].

ب- أنه يوجب الخلود في النار؛ فإن من المعلوم بالضرورة أن المشركين خالدون في النار أبدًا، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ [المائدة:٧٢].

ويقول ﷺ: (من مات وهو يدعو من دون الله ندًّا دخل النار)[(١)].

وقال عليه الصلاة والسلام: (من لقي الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئا دخل النار)[(٢)].

ج- أنه محبط للعمل إن مات عليه صاحبه؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا ﴾ [البقرة: ١٦٥] (٨/ ١٧٦) مع الفتح، برقم (٤٤٩٧)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة (١/ ٩٤) برقم (٩٢) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة (١/ ٩٤) برقم (٩٢) من حديث جابر رضي الله عنه.

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[البقرة:٢١٧]، وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾[الزُّمَر:٦٥]، وقال سبحانه: ﴿وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأنعام:٨٨]، وقال ﷻ: ﴿وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا﴾[الفرقان:٢٣].

فإذا كان الشرك بهذه المثابة خطرًا وقبحًا كان حريًّا بالمسلم أن يخافه أشد الخوف، وأن يحذره أشد الحذر، وليكن له أسوة بأبي الأنبياء وإمام الحنفاء إبراهيم عليه السلام حينما قال: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ﴾ [إبراهيم:٣٥]، فهذا الخليل عليه السلام - وهو هو - خاف من الشرك ودعا ربه أن يعافيه وبنيه منه؛ فكيف بمن دونه؟ قال إبراهيم التيمي رحمه الله: «من يأمن من البلاء بعد خليل الله إبراهيم؟»[١].

وبمثله قال سفيان الثوري رحمه الله: «من يأمن البلاء بعد خليل الرحمان وهو يقول: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ﴾[إبراهيم:٣٥]؟»[٢] والله المستعان[٣].

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٣/ ٢٢٨).

(٢) أخرجه ابن عبد البر في «التمهيد» (١٨/ ١٤٩). ولم تحذف الألف في كلمة «الرحمن» على رأي بعض أهل العلم. وانظر الخلاف في هذه المسألة في: «المطالع النصرية (قواعد الإملاء)» (٢٢٧).

(٣) يراجع للفائدة: شرح باب الخوف من الشرك من «تيسير العزيز الحميد» (١/ ٢٨٣-٢٩٥).

المبحث السابع: خطأ المخالفين في تفسير شهادة أن لا إله إلا الله ومناقشته

إن مما يؤسف له كثيرًا أن هذه الكلمة العظيمة - وهي أساس الدين وأصله - قد أخطأ في فهمها كثير من المسلمين وتحرّف معناها عندهم.

وقد ترتب على هذا الخطأ في الفهم انحرافات عظيمة في الاعتقاد؛ بل الوقوع فيما يناقض معناها؛ فإن من الناس من يرددها بلسانه؛ لكنه يقع فيما منعته من الشرك بأعماله، وينكر ما دلت عليه من الإخلاص بقلبه؛ فأثبت ما نفته، واعتقد خلاف ما قامت عليه.

فسبحان الله! كيف جهل هؤلاء معناها الذي دعت إليه الرسل من توحيد الله ونفي الشرك؛ وهو صريحٌ في القرآن، لا يخفى على من عنده أدنى مسكة من فهم؟[1].

وإذا أردت مصداق ذلك؛ فدونك تلك المقامات الشاهقة، والقبور المزخرفة، وانظر إلى العاكفين عليها والساجدين لها والطائفين والمتمسحين بها، واستمع إلى تلك الهتافات والاستغاثات والدعوات لأصحابها! فلا إله إلا الله؛ ما أبعد هؤلاء عن هذه الكلمة الطيبة؛ وإن كانوا يرفعون بها أصواتهم؛ فإنهم يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، وما تكذبه أعمالهم.

---

(١) انظر: «الدرر السنية» (٢/ ٢١٦).

وإن من أعظم أسباب هذا المنكر العظيم - والأسباب كُثر - الخطأ في فهمها وتفسير معناها. ولو أنهم فهموها حقًّا واعتقدوا مدلولها صدقًا؛ لم تقع كثير من تلك الأعمال الضالة، والله المستعان.

وأشير في هذا المقام إلى ثلاثة أخطاء مشهورة في تفسيرها.

وسبب الخلل فيها هو الخطأ في تفسير « الإله »؛ وترتب على هذا الخطأ جعل مدلول شهادة التوحيد: توحيد الربوبية لا توحيد الألوهية.

وهذا ما ذهب إليه كثير من المتكلمين[1] ومن سار في ركابهم.

التفسير الأول: لا قادر على الاختراع إلا الله.

وأصحاب هذا التفسير فسروا الإله بالقادر على الاختراع.

قال عبد القاهر البغدادي: « واختلف أصحابنا في معنى الإله؛ فمنهم من قال: إنه مشتق من الإلهية؛ وهي قدرته على اختراع الأعيان، وهو اختيار أبي الحسن الأشعري »[2].

---

(١) قيدت هذا بأنه قول كثير منهم لا قولهم جميعًا؛ لأن من المتكلمين من وافق الحق في هذه المسألة، وقد سقت كلام بعضهم فيما سبق، وليت أن الأتباع المتأخرين يتبصرون ويأخذون من أقوال أئمتهم بما وافق الحق.

(٢) « أصول الدين » (١٢٣).

ونقل الشهرستاني عن الأشعري أيضًا: « أن أخص وصف الإله هو القدرة على الاختراع؛ فلا يشركه فيه غيره، ومن أثبت فيه شركة فقد أثبت إلهين »[1].

وممن قرر هذا المعنى الخاطئ للإله: البيهقي؛ فإنه قال: « الله: معناه: من له الإلهية؛ وهي القدرة على اختراع الأعيان، وهذه صفة يستحقها بذاته »[2].

ويلزم من هذا التفسير أن من توجه إلى القبور - مثلًا - بالدعاء والذبح ونحوهما من أنواع العبادة دون أن يعتقد في أصحابها ثبوت وصف القدرة على الاختراع فإنه لا يكون مشركا؛ لأنه لم يتخذ إلهًا مع الله؛ وهذا مخالف للمعلوم بالاضطرار من دين الله.

التفسير الثاني: لا مستغنيا عن كل ما سواه، ومفتقرا إليه كل من عداه إلا الله.

وأصحاب هذا التفسير فسروا الإله: بالمستغني عن كل ما سواه، والمفتقر إليه كل من عداه.

جاء في متن أم البراهين « السنوسية »: « معنى الألوهية: استغناء الإله عن كل ما سواه، وافتقار كل ما عداه إليه؛ فمعنى لا إله إلا الله: لا مستغني عن كل ما سواه ومفتقرًا إليه كل من عداه إلا الله تعالى »[3].

---

(١) « نهاية الإقدام » (٥٦).

(٢) « الاعتقاد » (٢٠).

(٣) (٢٨١) مع شرحها. وانظر في الصفحة نفسها تعليق الدسوقي في حاشيته على قوله: «مستغنيَ » مع أن اسم « لا » المطول يجب نصبه وتنوينه عند الجمهور.

وتجدر الإشارة ههنا إلى أن السنوسي في شرحه على متنه - قبل الموضع السابق بصفحات - كاد أن يصيب الحق؛ حينما فسر الإله بالمعبود بحق، وفسر كلمة التوحيد بـ: « لا مستحق للعبودية له موجودًا في الوجود إلا الفرد[1] الذي هو خالق العالم ﷻ »[2]، لكنه عاد واستظهر أن المعنى الأقرب للإله هو: المستغني عن كل ما سواه، والمفتقر إليه كل ما عداه، وجعل هذا أصلًا للمعنى الأول.

على أن من علماء الأشاعرة المتأخرين من حاول التوفيق بين التعريفين بأن المعنى الحقيقي لشهادة التوحيد: « لا معبود بحق في الواقع إلا الله »، وأما تفسيرها بـ:« لا مستغنيا عن كل ما سواه ومفتقرًا إليه كل ما عداه إلا الله » فهو تفسير بطريق اللزوم[3].

ويبدو أن هذه الخطوة التوضيحية لم تكن كافية لتصحيح الخطأ الذي ترتب على هذا التفسير؛ إذ إن هذا المعنى الذي قيل إنه المعنى اللازم أضحى هو الرائج لدى أكثرهم، والمعنى الحقيقي المطابق غير معروف عندهم، يقدح

---

(١) لا أعلم دليلا يصح على تسمية الله سبحانه بالفرد. وانظر للفائدة: « معجم المناهي اللفظية » (١٢٤).

(٢) (٢٧٧) من شرحه على السنوسية.

(٣) انظر: « حاشية البيجوري على جوهرة التوحيد » (٢٠٨) و« حاشية الدسوقي على أم البراهين » (٢٧٧).

زناد هذا الرواج للمعنى اللازم ذاك الرباط الوثيق الذي تنامى في القرون المتأخرة بين الأشعرية والصوفية.

والمقصود أن القوم خلطوا بين « الرب » و « الإله »؛ ففسروا « الإله » بالرب.

ولا شك أن الإله الحق - وهو الله سبحانه - هو القادر على كل شيء، ومن ذلك أنه القادر على اختراع الأعيان، والمستغني عن كل ما سواه والمفتقر إليه كل ما عداه؛ فهذا من خصائص الإله الحق، فهو الرب وحده والإله وحده في الحقيقة، وهو اعتقاد أهل الإيمان.

غير أن الذي لا يصح: تفسير كلمة « الإله » مطلقًا بالرب، أو ظن أن من اعتقد أن الله هو الرب وحده فقد اعتقده الإله وحده ولا بد، فهذا ظنٌّ فاسد؛ فإن المشركين الأولين اعتقدوا أن الله هو الرب القادر الخالق وحده؛ لكنهم لم يجعلوه الإله وحده[١].

والخلاصة أن تفسير هؤلاء المتكلمين للإله وبناء تفسير كلمة التوحيد عليه باطل.

وممن نبه إلى الخطأ الذي وقع فيه هؤلاء: الشيخ سليمان بن عبد الله؛ حيث قال رحمه الله: « فإن قيل: قد تبين معنى الإله والإلهية، فما الجواب عن قول من قال: بأن معنى الإله القادر على الاختراع ونحو هذه العبارة؟

(١) انظر: « صيانة الإنسان » (٤٤٧-٤٤٨).

قيل: الجواب من وجهين:

أحدهما: أن هذا قول مبتدع لا يُعرف أحد قاله من العلماء ولا من أئمة اللغة، وكلام العلماء وأئمة اللغة هو معنى ما ذكرنا كما تقدم؛ فيكون هذا القول باطلًا.

الثاني: على تقدير تسليمه، فهو تفسير باللازم للإله الحق، فإن اللازم له أن يكون خالقًا قادرًا على الاختراع، ومتى لم يكن كذلك، فليس بإله حق وإن سمي إلهًا، وليس مراده أن من عرف أن الإله هو القادر على الاختراع، فقد دخل في الإسلام وأتى بتحقيق المرام من مفتاح دار السلام، فإن هذا لا يقوله أحد، لأنه يستلزم أن يكون كفار العرب مسلمين »[1].

وأضيف **وجهًا ثالثًا:** وهو مخالفة القرآن الكريم؛ وذلك أن « الإله » إنما ورد فيه بمعنى المعبود، لا بما قالوا، وقد سقت فيما سبق أدلة عدة على هذا، ومنها قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ﴾[الأنعام:٧٤]؛ وهم لم يعتقدوا فيها سوى كونها معبودة.

وقد أحسن الرازي في تفسيره لهذه الآية حينما بيّن هذا المعنى بقوله: « اختلف الناس في تفسير لفظ « الإله » ، والأصح أنه هو المعبود، وهذه الآية تدل على هذا القول؛ لأنهم ما أثبتوا للأصنام إلا كونها معبودة، ولأجل هذا

(١) « تيسير العزيز الحميد » (١/ ٢١٩-٢٢٠).

قال إبراهيم لأبيه: ﴿ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ﴾[الأنعام:٧٤] وذلك يدل على أن تفسير لفظ الإله هو المعبود »[1].

وأضيف **وجها رابعًا أيضا**: وهو أنه « لو كان معنى لا إله إلا الله ما زعمه هؤلاء لم يكن بين الرسول ﷺ وبين المشركين نزاع، بل كانوا يبادرون إلى إجابة الرسول ﷺ إذا قال لهم: أقروا بأن الله هو القادر على الاختراع، أو أقروا أن الله موجود، أو قال لهم: تحاكموا إلى الشريعة في الدماء والأموال والحقوق وسكت عن العبادة، لكن القوم - وهم أهل اللسان العربي - فهموا أنهم إذا قالوا « لا إله إلا الله » فقد أقروا ببطلان عبادة الأصنام، وأن هذه الكلمة ليست مجرد لفظ لا معنى له؛ ولهذا نفروا منها وقالوا: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾[ص:٥] كما قال الله عنهم: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴾ [الصافات:٣٥-٣٦]. فعرفوا أن لا إله إلا الله تقتضي ترك عبادة ما سوى الله وإفراد الله بالعبادة، وأنهم لو قالوها واستمروا على عبادة الأصنام لتناقضوا مع أنفسهم، وهم يأنفون من التناقض، وعباد القبور اليوم لا يأنفون من هذا التناقض الشنيع؛ فهم يقولون لا إله إلا الله، ثم ينقضونها بعبادة الأموات والتقرب إلى الأضرحة بأنواع من العبادات.

---

(١) (٥/ ٣٤).

فتبا لمن كان أبو جهل وأبو لهب أعلم منه بمعنى لا إله إلا الله »[1].

التفسير الثالث: وليس ببعيد عن التفسيرين السابقين تفسيرٌ ثالثٌ، يجتمع معهما في جعل مدلول كلمة التوحيد: توحيد الربوبية لا توحيد الألوهية.

ذلكم هو تفسير مشتهر لدى جماعة تتصدى للدعوة إلى منهجها وتبليغها للناس؛ حيث يقررون في مجالسهم - إذا أرادوا بيان معنى الكلمة الطيبة « لا إله إلا الله » - أن معناها: إخراج اليقين الفاسد من القلب على الأشياء، وإدخال اليقين الصحيح على ذات الله؛ أنه لا خالق إلا الله، ولا رازق إلا الله، ولا مدبر إلا الله.

وقد سئل الشيخ محمد ابن عثيمين رحمه الله عن هذا التفسير؛ فأجاب بجواب حسن، أسوقه هنا لتعم الفائدة.

قال رحمه الله تعليقًا على التفسير السابق: « هذا التفسير ليس بصحيح؛ لأن تفسيرها على هذا الوجه لا يتحقق به إلا توحيد الربوبية فقط، ومعلوم أن توحيد الربوبية وحده لا يدخل الإنسان في الإسلام، ولو كان يدخله في

---

(١) « معنى لا إله إلا الله ومقتضاها وآثارها » (٢٣-٢٤). وهذا الكلام ملخص من كلام الشيخ سليمان بن عبد الله في » تيسير العزيز الحميد » (١/ ٢١٢-٢١٤). وانظر: « مجموع فتاوى الشيخ عبد العزيز ابن باز » (١/ ٢٢٢)، و« القول المفيد» (١/ ٦٠، ١٣٠).

ومن لطيف كلام الإمام محمد بن عبد الوهاب قوله: « فقبح الله من أبو جهل أعلم منه بأصل الإسلام ». قاله ضمن مسائل باب: قول الله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ [القصص: ٥٦] في « كتاب التوحيد » (٨٥) مع « قرة عيون الموحدين ».

الإسلام ويعصم ماله ودمه لكان المشركون الذين بعث فيهم النبي ﷺ مسلمين لا تحل دماؤهم[1]؛ لأنهم يؤمنون إيمانًا كاملًا، ويقرون إقرارًا كاملًا بأنه سبحانه وحده هو الخالق الرازق المدبر للأمور، ومع ذلك فإنهم لم يدخلوا في الإسلام، بل استباح النبي ﷺ دماءهم وأموالهم، وسبى ذراريهم ونساءهم وورث أرضهم.

ومعنى كلمة التوحيد الصحيح: أنه لا معبود حقٌّ إلا الله، وأن جميع المعبودات من دون الله معبودات باطلة، كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الحج:٦٢]، ولم يفهم المسلمون من هذه الكلمة العظيمة سوى هذا المعنى، بل لم يفهم المشركون من هذه الكلمة العظيمة سوى هذا المعنى، ولهذا قال الله عنهم: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ [الصافات:٣٦]. فتبين بهذا أن المشركين أفهم لمعنى كلمة لا إله إلا الله من الذي جعل معناها مجرد اليقين والإيمان بأن الله تعالى هو الخالق الرازق.

وهذه مسألة عظيمة يجب على الإنسان أن يتوب إلى الله من هذا التفسير الفاسد لمعنى « لا إله إلا الله »، وأن يرجع إلى التفسير الصحيح الذي اتفق عليه المسلمون، والذي يفهم من هذه الكلمة العظيمة يفهمه حتى المشركون الذين قاتلهم النبي ﷺ، وأن معنى هذه الكلمة العظيمة: لا معبود حق إلا

---

(١) في الأصل « دمائهم ».

الله، هذا هو المعنى المتعين، فيجب على هذا السائل أن يرجع إلى الحق وإلى الصواب، وأن يقول توحيد الربوبية شيء، وتوحيد الألوهية شيء آخر، ولا يتم أحدهما بدون الآخر »[1].

هذا ما يسر الله تحريره من مسائل شهادة الإخلاص، جعل الله الحياة والمات على قولها وتحقيقها، ومنّ على الكاتب والقارئ بفقهها والثبات عليها.

كما أسأله تعالى أن يجعل هذا المكتوب خالصا صوابا نافعا.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) مجموع فتاوى الشيخ (٢٧/ ٢٦١-٢٦٢).

قائمة المصادر

- أولا: القرآن الكريم

- ثانيا: الكتب المطبوعة:

- « الإيمان »، لمحمد بن إسحاق بن يحي بن منده، تحقيق: علي بن محمد بن ناصر الفقيهي، مؤسسة الرسالة ببيروت، ط الثانية١٤٠٦هـ

- الإيمان الأوسط « شرح حديث جبريل » لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق علي الزهراني، دار ابن الجوزي بالدمام ط الأولى ١٤٢٣هـ

- « ارتشاف الضرب من لسان العرب »، لأبي حيان الأندلسي، تحقيق: رجب عثمان، مكتبة الخانجي، ط الأولى ١٤١٨هـ.

- « الاستغناء في أحكام الاستثناء »، لشهاب الدين القرافي، تحقيق: طه محسن، مطبعة الإرشاد ببغداد، ط عام ١٤٠٢هـ.

- « أسرار العربية »، لعبد الرحمن بن محمد الأنباري النحوي، مطبعة بريل بليدن، ط عام١٣٠٣هـ.

- « اشتقاق أسماء الله »، لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي، تحقيق: عبد الحسين المبارك، مؤسسة الرسالة ببيروت، ط الثانية ١٤٠٦هـ.

- « أصول الدين »، لأبي منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت – ط الثالثة – ١٤٠١ هـ.

- « الاعتقاد، للبيهقي »، دار الكتب العلمية، ط الثانية ١٤٠٦ هـ.

- « الأعلام »، لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، ط التاسعة ١٩٩٠م.

- « ألفية ابن مالك » (مع شرح ابن عقيل).

- « أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك »، لابن هشام (مع ضياء السالك).

- « البحر المحيط »، لأبي حيان، دار الكتاب الإسلامي، ط الثانية ١٤١٣هـ.

- « بدائع الفوائد »، لشمس الدين ابن قيم الجوزية، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، مكتبة العلم، جدة (بدون سنة ورقم الطبعة).

- « تاج العروس من جواهر القاموس » ، لمحمد مرتضى الزبيدي بالكويت، ط الأولى ١٤٢٢ هـ، تحقيق: عبد الكريم الغرباوي، إصدار المجلس الوطني للثقافة

- « تحفة الإخوان بأجوبة مهمة تتعلق بأركان الإسلام »، لعبد العزيز ابن باز، إشراف محمد الشايع، دار الفائزين بالرياض ط الثانية ١٤١٦ ه

- « التسهيل لعلوم التنزيل »، لمحمد بن أحمد بن جزي الكلبي، دار الكتاب العربي، بيروت - ط الثانية - ١٣٩٣ هـ.

- « التصريح على التوضيح »، لخالد بن عبد الله الأزهري، دار الفكر، (بدون معلومات الطبع).

- « تعظيم قدر الصلاة »، لمحمد بن نصر المروزي، تحقيق: د. عبد الرحمن الفريوائي، مكتبة الدار بالمدينة - ط الأولى - ١٤٠٦ هـ.

- « التعليق على صحيح مسلم »، لمحمد بن صالح العثيمين، مكتبة الرشد بالرياض، ط الأولى ١٤٢٧هـ.

- « تفسير آيات أشكلت »، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبد العزيز الخليفة، مكتبة الرشد، الرياض - ط الأولى - ١٤١٧ هـ.

- تفسير ابن جرير الطبري « جامع البيان عن تأويل آي القرآن »، لمحمد بن جرير الطبري، دار الفكر، بيروت طبعة عام ١٤٠٨ هـ

- تفسير البغوي المسمى « معالم التنزيل »، للبغوي، تحقيق: محمد النمر وآخرين، دار طيبة - الرياض - ط الرابعة - ١٤١٧ هـ

- تفسير البيضاوي « أنوار التنزيل وأسرار التأويل »، للقاضي ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي، ط دار الكتب العربية الكبرى بمصر، (بدون معلومات الطبع).

- « تفسير الجلالين »، لجلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي، تقديم: الأستاذ مروان سوار، دار المعرفة، بيروت.

- « تفسير القرآن العظيم » ، لأبي الفداء إسماعيل بن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة بالرياض، ط الأولى ١٤٢٢هـ.

- « التفسير الكبير » أو « مفاتيح الغيب »، لفخر الدين محمد بن عمر الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت - ط الأولى - ١٤١١ هـ .

- « تفسير المنار »، لمحمد رشيد رضا، دار المنار بمصر، ط الثالثة١٣٦٧هـ.

- تفسير النسفي المسمى بـ« مدارك التنزيل وحقائق التأويل »، لعبد الله بن أحمد النسفي، اعتناء عبد المجيد حلبي، دار المعرفة بيروت ط الأولى ١٤٢١ه

- « التمهيد لشرح كتاب التوحيد »، لصالح آل الشيخ، دار التوحيد، ط الأولى ١٤٢٣ هـ.

- « تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد »، للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد، المكتب الإسلامي بيروت، ط السابعة ١٤٠٨هـ

- « تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان »، للسعدي، تحقيق عبد الرحمن اللويحق، مكتبة الرشيد الرياض، ط الثالثة ١٤٢٢هـ

- « تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن »، لعبد الرحمن بن ناصر السعدي، مكتبة المعارف بالرياض، ط عام ١٤٠٠هـ.

- « جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم »، لابن رجب، تحقيق شعيب الأرناؤوط وإبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، ط الثانية ١٤١٣هـ.

- « الجامع لأحكام القرآن »، لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، دار الكتب العلمية، ط الأولى ١٤٠٨هـ.

- « حاشية ثلاثة الأصول »، لعبد الرحمن ابن قاسم، ط الخامسة ١٤٠٧ هـ.

- « حاشية الدسوقي على أم البراهين »، لمحمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي، تحقيق: عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، دار الكتب العلمية ببيروت، ط الثانية ٢٠٠٨م

- « حاشية كتاب التوحيد »، لعبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي، ط الرابعة ١٤١٤ هـ.

- « الحجة في بيان المحجة »، لقوام السنة الأصبهاني، تحقيق: محمد المدخلي ومحمد أبو رحيم، دار الراية، ط الأولى ١٤١١هـ

- « الداء والدواء » ، لابن قيم الجوزية، تحقيق: علي حسن عبد الحميد، دار ابن الجوزي، الدمام – ط الثالثة – ١٤١٩ هـ.

- « الدر المنثور في التفسير بالمأثور »، للسيوطي، طبعة قديمة بدون معلومات الطبع مصورة في دار المعرفة ببيروت.

- « الدر النضيد على أبواب التوحيد »، لسليمان بن عبد الرحمن الحمدان، مكتبة الصحابة، جدة (بدون رقم الطبعة وسنتها).

- « الدرر السنية في الأجوبة النجدية »، جمع عبد الرحمن بن قاسم النجدي، الطبعة السادسة ١٤١٧هـ.

- ديوان ابن سحمان « عقود الجواهر المنضدة الحسان »، للشيخ سليمان بن مصلح

النجدي - ضمن كتاب ابن سحمان تاريخ حياته وعلمه وتحقيق شعره -، لأبي عبد الرحمن بن عقيل الظاهري، مكتبة الرشد بالرياض،ط الأولى ١٤٢٧هـ.

- ديوان رؤبة بن العجاج، « تصحيح وليم بن الورد »، ط دروغولين - ليبسيغ، عام١٩٠٣م

- « رسالة في إعراب لا إله إلا الله »، لابن هشام، تحقيق: حسن الشاعر، (بحث في مجلة الجامعة الإسلامية العدد٨١-٨٢).

- « رفع الاشتباه عن معنى العبادة والإله »، لعبد الرحمن بن يحي المعلمي، تحقيق: الداني بن منير آل زهوي، المكتبة العصرية ببيروت، ط الأولى ١٤٢٣هـ.

- « روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني »، لمحمود الألوسي، تعليق محمد الأمد وعمر السلامي، دار إحياء التراث، بيروت ، ط الأولى ١٤٢٠ هـ.

- « زاد المسير في علم التفسير »، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي، دار ابن حزم، بيروت ، ط الأولى ١٤٢٣ هـ.

- « الزاهر فى معانى كلمات الناس »، لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري، تحقيق د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الأولى ١٤١٢هـ.

- « السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة »، لمحمد بن عبد الله بن حميد، تحقيق عبد الرحمن العثيمين، مؤسسة الرسالة، ط الأولى - ١٤١٦ هـ.

- « سلم الوصول » ، لحافظ الحكمي، مع « معارج القبول ».

- « سلسلة الأحاديث الصحيحة »، لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف - ط الثانية ١٤٠٧ هـ.

- « سنن ابن ماجه »، لمحمد بن يزيد القزويني، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر للطباعة ببيروت (بدون معلومات الطبع).

- « سنن الترمذي »، لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي تحقيق : أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت .

- « السنوسية – مع حاشية الدسوقي – »، لمحمد بن يوسف السنوسي.

- « شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك »، لبهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي، دار التراث بالقاهرة، ط العشرون ١٤٠٠هـ.

- « شرح السنوسية – مع حاشية السوقي – »، لمحمد بن يوسف السنوسي.

- « شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب »، لأبي محمد عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري، (بدون معلومات الطبع).

- « شرح العمدة » (كتاب الصلاة)، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: خالد المشيقح، دار العاصمة بالرياض .

- « شرح قطر الندى وبل الصدى »، لأبي محمد عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري، المكتبة العصرية ببيروت،ط الأولى١٤١٧هـ

- « شرح المفصل »، لموفق الدين بن يعيش النحوي، عالم الكتب ببيروت (بدون معلومات الطبع).

- الشرح الممتع على زاد المستقنع »، لمحمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي بالرياض، ط الأولى ١٤٢٢هـ.

- « الشرح الموجز الممهد لتوحيد الخالق الممجد »، لأحمد بن يحي النجمي، مكتبة الأصالة بجدة، ط الأولى١٤٢٧هـ.

- « شرح جوهرة التوحيد »، للشيخ إبراهيم بن محمد البيجوري، دار الكتب العلمية، بيروت – ط الأولى – ١٤٠٣ هـ

- « شروط شهادة أن لا إله إلا الله »- تأصيلًا ودراسةً -، رسالة دكتوراه بقسم العقيدة بالجامعة الإسلامية، عام١٤٢٨-١٤٢٩هـ، للباحث محمد عبد الله مختار.

- « الشهادتان معناهما وما تستلزمه كل منهما »، لعبد الله بن عبد الرحمن بن جبرين، دار طيبة بالرياض، ط الأولى ١٤١٠هـ.

- « الصحاح »، للجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور، ط الثانية ١٣٩٩هـ.

- « صحيح مسلم »، لمسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، دار الحديث بالقاهرة، ط الأولى ١٤١٢هـ.

- « صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان »، لمحمد بشير السهسواني الهندبي، مكتبة ابن تيمية بالقاهرة، ط الرابعة١٤١٠هـ.

- « ضياء السالك إلى أوضح المسالك »، لمحمد عبد العزيز النجار، مطابع الاتحاد الدولي بمصر، ط عام١٤٠١هـ.

- « الطرق الحكمية في السياسة الشرعية »، لابن قيم الجوزية، تحقيق: نايف بن أحمد الحمد، دار عالم الفوائد بمكة المكرمة، ط الأولى١٤٢٨هـ.

- « طريق الهجرتين وباب السعادتين لابن القيم الجوزية »، تحقيق يوسف علي بديوي، دار ابن كثير ببيروت، ط الأولى ١٤١٩ هـ .

- « العقد الثمين »، لمحمد أمين السويدي - مع شرحه التوضيح والتبيين -، رسالة دكتوراه بقسم العقيدة بالجامعة الإسلامية، للباحث صالح بن محمد بن علي العقيل، عام١٤١٣هـ.

- « عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية »، لصالح بن عبد الرحمن العبود، إصدار الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، عام١٤١٩هـ

- « عنوان المجد في تاريخ نجد »، لعثمان بن بشر النجدي، مكتبة الرياض الحديثة (بدون معلومات الطبع).

- « الفتاوى الكبرى »، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق محمد عطا ومصطفى عطا - دار الباز - ط الأولى - ١٤٠٨ هـ.

- « فتح الباري بشرح صحيح البخاري » لابن حجر العسقلاني، تحقيق محب الدين الخطيب، دار المعرفة ، (بدون معلومات الطبع).

- « فتح الحميد في شرح كتاب التوحيد »، لعثمان بن عبد العزيز التميمي، تحقيق: سعود العريفي و حسين السعيدي، دار عالم الفوائد بمكة المكرمة، ط الأولى١٤٢٥هـ

- « فتح القدير »، الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير لمحمد علي الشوكاني، دار الفكر، لبنان ط عام ١٤٠٣هـ.

- « فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد »، لعبد الرحمن بن حسن، تحقيق الوليد آل فريان، دار الصميعي الرياض ط الأولى ١٤١٥هـ

- فيض القدير شرح الجامع الصغير » لمحمد عبد الرؤوف المناوي، دار المعرفة (بدون معلومات الطبع).

- « القاموس المحيط » لمجد الدين عمر بن يعقوب الفيروز أبادي، طبعة قديمة بدون معلومات الطبع والنشر.

- « قرة عيون الموحدين »، لعبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، ضمن الجامع الفريد.

- « القول السديد في مقاصد التوحيد »، للسعدي، ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي.

- « القول المفيد على كتاب التوحيد »، لمحمد بن صالح العثيمين، اعتناء سليمان أبا الخيل وخالد المشيقح، دار العاصمة، ط الأولى ١٤١٥هـ

- « كتاب التوحيد » للشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب – مع « قرة عيون الموحدين ».

- « كلمة الإخلاص » وتحقيق معناها، لابن رجب، تحقيق زهير الشاويش وتخريج محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط الرابعة١٣٩٧هـ.

- « الكليات » لأيوب بن موسى الحسيني الكفوي، تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، ط الثانية ١٤١٣هـ.

- « كنز السعادة في شرح الشهادة »، للسيد محمود شكري الآلوسي، تحقيق: علي دحروج، دار الكتاب العربي ببيروت، ط الأولى١٤١١هـ.

- « الكواشف الجلية عن معاني الواسطية »، لعبد العزيز السلمان، ط الثامنة عشرة ١٤١٣ هـ.

- « مجمل اللغة »، لأحمد بن فارس، تحقيق: زهير سلطان، مؤسسة الرسالة، ط الثانية عام١٤٠٦هـ.

- « مجموعة الرسائل والمسائل النجدية »، لبعض علماء نجد، دار العاصمة – ط الثالثة – ١٤١٢هـ.

- « مجموع فتاوى » شيخ الإسلام ابن تيمية ، جمع عبد الرحمن ابن قاسم ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف بالمدينة ١٤١٦هـ.

- « مجموع فتاوى الشيخ عبد العزيز ابن باز » ، إعداد: عبد الله الطيار وأحمد ابن باز، دار الوطن، ط الأولى ١٤١٦ هـ.

- « مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد ابن عثيمين »، جمع: فهد بن ناصر السليمان، دار الثريا للنشر، ط الثانية ١٤١٤هـ.

- « مجموع فتاوى ومقالات متنوعة للشيخ عبد العزيز ابن باز »، أشرف على طبعه: محمد الشويعر، الرئاسة العامة للإفتاء بالمملكة، ط الثانية ١٤١١ هـ.

- « المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز »، لعبد الحق بن عطية الأندلسي، دار ابن حزم، بيروت – ط الأولى– ١٤٢٣هـ.

- « مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين » لابن قيم الجوزية، مراجعة لجنة من العلماء بإشراف الناشر، دار الحديث (بدون معلومات الطبع).

- « مسألة في التوحيد وفضل لا إله إلا الله »، ليوسف بن عبد الهادي المقدسي، تحقيق: عبد الهادي منصور، دار البشائر ببيروت، ط الأولى ١٤١٦هـ.

- « مسند الإمام أحمد »، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الأولى١٤١٦هـ

- « مصباح الظلام »، للشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، تحقيق: عبد العزيز آل حمد، ط الأولى ١٤٢٤هـ.

- « المصباح المنير »، لأحمد بن محمد الفيومي ، مكتبة لبنان ، ١٩٨٧م.

- « المطالع النصرية للمطابع المصرية » (ورُسم على غلافه: قواعد الإملاء) لنصر الهوريني، تحقيق عبد الوهاب الكحلة، مؤسسة الرسالة، ط الأولى ١٤٢٢هـ.

- « معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد »، للشيخ حافظ بن أحمد الحكمي، جماعة إحياء التراث .

- « معجم المناهي اللفظية » لبكر أبو زيد، دار العاصمة، ط الثالثة.

- « معنى لا إله إلا الله »، لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق: علي محي الدين القره داغي، دار البشائر الإسلامية ببيروت، ط الثالثة ١٤٠٦هـ.

- « معنى لا إله إلا الله ومقتضاها وآثارها »، لصالح بن فوزان الفوزان، إصدار جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عام ١٤٠٨هـ.

- « مغني اللبيب عن كتب الأعاريب »، لأبي محمد عبد الله بن هشام، تحقيق: محمد محي الدين الخطيب، دار إحياء التراث العربي (بدون معلومات الطبع).

- « مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج » لمحمد بن أحمد الشربيني الخطيب، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط عام ١٣٧٧ هـ .

- « مفتاح دار السلام بتحقيق شهادتي الإسلام » للشيخ حافظ الحكمي - مجلة الدراسات العقدية، العدد الرابع.

- « المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني »، تحقيق محمد سيد كيلاني، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط عام ١٣٨١ هـ .

- « المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم »، لأبي العباس القرطبي، تحقيق محي الدين مستو وآخرين، دار ابن كثير دمشق، ط الثانية ١٤٢٠ه

- « مقاييس اللغة » لأحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق شهاب الدين أبو عمرو ، دار الفكر بيروت، ط الأولى ١٤١٥ هـ .

- « منار السبيل »، لإبراهيم ابن ضويان، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، ط السادسة ١٤٠٤ هـ.

- « منهج السالك في الكلام على ألفية ابن مالك »، لأبي حيان النحوي الأندلسي، تحقيق: سدني جلازر، طبعة مصورة عن طبعة عام ١٩٤٧م، مكتبة أضواء السلف.

- « نظم الدرر في تناسب السور »، لبرهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، ط المكتب الإسلامي.

- « نهاية الإقدام في علم الكلام »، للشهرستاني، تحرير ألفرد جيوم، مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة (بدون معلومات الطبع).

فهرس الموضوعات

المقدمة ٥

التمهيد: في تعريف « الشهادة » و« الإله »، وأهمية العلم بلا إله إلا الله ٨

المطلب الأول: معنى « الشهادة » ٨

المطلب الثاني: معنى « الإله » ١٥

المطلب الثالث: أهمية العلم بشهادة أن لا إله إلا الله ٢٣

المبحث الأول: فضل « لا إله إلا الله ».. ٢٦

المبحث الثاني: إعراب « لا إله إلا الله »، وما يترتب على الخطأ في إعرابها ٤١

المبحث الثالث: معنى « لا إله إلا الله »، وأدلة ذلك.. ٥٠

المبحث الرابع: شروط « لا إله إلا الله » ٦٥

المبحث الخامس: أهم ما تثبته وتنفيه « لا إله إلا الله ».. ٩٢

المبحث السادس: ما ينقض شهادة أن لا إله إلا الله.. ٩٥

المبحث السابع: خطأ المخالفين في تفسير شهادة أن لا إله إلا الله ومناقشته ١٠١

قائمة المصادر ١١١

فهرس الموضوعات ١٢٢